

## المحاضرة التمهيديّة

### التعريف بعناصر المحاضرة

#### عناصر المحاضرة

- مقدمة.
- مسوغات المقرر وأهدافه.
- محتوى المقرر.
- التقويم.
- مراجع المقرر.

#### المقدمة

تعد دراسة هذه المادة من المتطلبات الدراسية الهامة لطالب التاريخ

وذلك لأن حقبة الحروب الصليبية شكلت حلقة من حلقات التاريخ الإسلامي الهامة .

حيث تعرض العالم الإسلامي في العصور الوسطى لهجمة شرسة من الحروب الصليبية التي شنّها الأوروبيون على البلاد الإسلامية

مسوغات المقرر وأهدافه

جاء هذا المقرر ليبي حاجة دراسية علم التاريخ في مجال هام من مجالات التاريخ الإسلامي والأوروبي الوسيط وهي مادة هامة من حيث طبيعتها وصفاتها وعلاقتها مع مواد التاريخ الإسلامي عامة:

#### محتوى المقرر

- تمهيد عن مفهوم الحروب الصليبية وأسبابها وأحوال العالم الإسلامي عشية هذه الحروب.
- الحملة الصليبية الأولى الاحداث والنتائج.

- حركة المقاومة الاسلامية واسترداد الرها (جهاد الزنكيين)
- الحملة الصليبية الثانية الاحداث والنتائج. الحملة الصليبية الثالثة الاحداث والنتائج.
- الحملة الصليبية الرابعة الاحداث والنتائج.
- الحملات الصليبية الخامسة الى السابعة الاحداث والنتائج، الحملة الصليبية على بلاد المغرب العربي. ونهاية الحروب الصليبية

#### التقويم

يكون تقويم الطالب في هذه المادة كما يلي:

وفي حال تغيير طريقة التقويم سيعلم بها الطلاب ، وتتوزع علامات المشاركة على النحو التالي:

مصادر المقرر ومراجعته

المرجع الرئيس: سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ”مجلدان

المراجع المساعدة: عبد القادر يوسف العلاقات بين الشرق والغرب من القرن الحادي عشر الى القرن الخامس عشر الميلادي.

محمد المطوي العمروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب

إبراهيم خميس سلام ،دراسات في تاريخ الحروب الصليبية

وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية .

فوشيه الشارترى، تاريخ الحروب الصليبية

سهيل زكار ، الحروب الصليبية

الإلكترونية: المواقع

المكتبة الوقفية [www.alfaseeh.com](http://www.alfaseeh.com) [www.shamela.ws](http://www.shamela.ws) google

[www.alwaraq.net](http://www.alwaraq.net)

البرامج الحاسوبية: الموسوعة الشاملة.

تنبيهات

أولاً: سيكون هناك واجبات خلال الفصل لكل واجب خمس درجات وستكون أسئلة الواجب من خارج المادة غالباً.

ثانياً: يجب دراسة المادة أولاً بأول واسأل عما لا تفهمه من خلال المحاضرات.

ثالثاً: حضور المحاضرات المسجلة مهم جداً وقراءة الملزمة دون حضور المحاضرة لا يكفي لأن بعض القضايا تفهم من خلال الإمكانيات الإلكترونية كالألوان التي تضع في التصوير.

## المحاضرة الأولى

### تمهيد عن الحروب الصليبية

#### عناصر المحاضرة

- مقدمة وتعريف .
- أسباب الحروب الصليبية
- أحوال العالم الإسلامي عشية قيام الحروب الصليبية.
- ✓ أحوال الدولة العباسية
- ✓ الدويلات المستقلة عن الدولة العباسية.
- ✓ احوال الغرب الاوروبي
- ✓ دور رجال الدين

#### المقدمة

الحروب الصليبية: هي سلسلة من الحملات العسكرية التي شنّها الأوربيون على ديار الإسلام، وعرفت تلك الحملات بالحروب الصليبية نسبة الى شعارها الذي رفعته وهو الصليب، وجدير بالذكر ان **هذه الحملات ذات دوافع دينية سياسية اقتصادية اجتماعية، حيث ارادت الدول الاوروبية حل مشاكلها الاقتصادية عن طريق تلك الحروب بالسيطرة على مقدرات العالم الاسلامي**، اما كونها دينية فقد قامت هذه الحروب قد قامت عن طريق الكنيسة حيث دعا اليها البابا اوربان سنة ١٠٩٥م عندما خاطب البابا جموع من الغوغاء والابواش

في مدن بلاشنتيا وكثيرمنت بالقول: "تقلدوا سيوفكم وتقدموا الى الامام والله معكم" واعطى البابا صكوك الغفران لكل من يحمل السيف ويشارك في قتل المسلمين في هذه الحروب الصليبية:-

الحرب، وهكذا انطلقت هذه الحروب التي وجهها المسيحيون في الشرق والغرب من القرن الخامس الى القرن السابع الهجري (الحادي عشر الى الثالث عشر الميلادي) للاستيلاء على بيت المقدس من ايدي المسلمين .

ولابد لنا من القول في هذا المقام ان من الدوافع الاجتماعية لهذه الحروب ان كثير من طبقات المجتمع في اوربا كانت تعاني من الظلم وخاصة طبقة الرقيق وعبيد الارض الذين كانوا يريدون التخلص من وضعهم السيئ وكذلك التخلص من اداء ديونهم .

وقد علق البابا على صدر كل مقاتل اوروبي صليبا من الخشب ، وصار هذا الصليب شعارا لهذه الحرب

### اسباب الحروب الصليبية :-

١- ظهور السلاجقة في بلاد الاناضول وآسيا التي فتحوها وانتزعوها من الدولة البيزنطية وهزيمتهم للدولة البيزنطية في معركة ملاذكرد ، كما ان السلاجقة ضموا بيت المقدس الى املكهم ، مما اثار الدولة البيزنطية التي كان رعاياها النصارى يقومون بزيارة بيت المقدس لاعتقادهم بأن الحج الى القدس يغفر الذنوب ويؤدي الى السعادة الأبدية .

٢- ظهور الروح الحربية في الكنيسة ، تلك الروح التي اصبحت مصدرا لحروب دموية استمرت عدة قرون ، وذلك يرجع الى دخول العناصر المتبربرة في الدين المسيحي واحتفاظها بنزعتها الحربية قبل اعتناق هذا الدين .

٣- رغبة الكنيسة في بسط نفوذها على الشرق الاسلامي ، ورغبة الكنيسة الغربية في السيطرة على جميع العالم ليكون تحت سلطة حكومة دينية واحدة رئيسها البابا .

٤- انتصار البابوية على الامبراطورية وتفوق نفوذ البابا على غربي اوروبا مما جعل دعوته مسموعة وكلامه مطاعا

٥- رغبة المدن التجارية مثل البندقية وجنوه وبيزا في نشر تجارتها في الشرق والسيطرة على ثروات وتجارة مصر وبلاد الشام

٦- تفكك وحدة المسلمين وضعفهم عقب موت سلطان السلاجقة ملكشاه، اضعف الى ذلك ضعف الدولة الفاطمية وعدم قدرتها على درء الخطر المسيحي عن سواحل مصر والشام .

\* وبهذه الاسباب والدوافع اجتمعت جموع من الغوغاء وساروا على غير نظام ولا استعداد بقيادة بطرس الناسك، فجعلوا يتوغلون في بلاد المسلمين وينهبون البلاد الاسلامية التي يمرون بها مقترفين في طريقهم الجرائم البشعة

### احوال العالم الاسلامي قبيل قيام الحروب الصليبية

كانت الظروف التي مرت فيها البلاد الاسلامية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين عاملا للضعف والتمزق مما جراً الاوروبيين الكاثوليك على المسلمين .

الدولة العباسية: كانت الدولة العباسية في هذه الاونة تعاني من الضعف والانحلال السياسي، وأضحت مجزأة الى دويلات متنافسة متعددة في الوقت الذي اصاب فيه الوهن سلطة العباسيين وأصبح خلفاؤهم مغلوبين على امرهم وقد انحصر نفوذهم في بغداد وقد نجح الفاطميون في توسيع دائرة سلطانهم بسيطرتهم على املاك الدولة العباسية في بلاد الشام وأجزاء من العراق .

### الدويلات المستقلة عن الدولة العباسية:

عانت الدولة العباسية من الضعف والتمزق، حيث تقسمن املاكها وضاع اغلبها واستقلت بها قوى على شكل دويلات من اشهرها :-

### مصر كانت تحت حكم الدولة الفاطمية

دول الاتابكية ”الزنكيين في دمشق” الدولة الزنكية في الموصل – اتابكية حلب، اتابكية سنجار شمال العراق، اتابكية الجزيرة الفراتية شمال الشام اتابكية ديار بكر، سلاجقة سورية، سلاجقة كردستان، دولة خوارزم في الشرق، الدولة المرابطية في المغرب .

تلك الصورة تدل على ان العالم الاسلامي كان ممزق بين عدة دول وقوى متصارعة مع بعضها في كثير من الاوقات

## احوال الغرب الأوروبي:

بدا عهد جديد في اوروبا منذ القرن العاشر الميلادي ،وهي فكرة الحج الى بيت المقدس (القدس)،حيث توافدت جموع كبيرة من نصارى اوروبا الى فلسطين من اجل الزيارة والتبرك والإقامة بجوار اضرحة القديسين في الاماكن التي ارتبط تاريخها بحياة السيد المسيح عليه السلام ،وإثناء عودتهم الى بلدانهم في اوروبا كذبوا على المسلمين بأنهم ضايقوهم واضطهدوهم .

كما عانت المجتمعات الاوروبية من الطبقية (الاباطرة والحكام ،البابا وطبقة رجال الدين ،النبلاء والإقطاعيين ،العبيد والحرفيين وغيرهم . وحدثت صراعات سياسية بين طبقات رجال الكنيسة وملوك اوروبا وكل يريد الفوز بالسلطة الدينية والسياسية

## بداية الحروب الصليبية

قامت الحروب الصليبية عندما بدأ **بطرس الناسك** اول تحركات الجيوش الصليبية في مستهل سنة ١٠٩٦م ومعه حوالي ٦٠ الف شخص من سكان فرنسا واللورين خرجوا بمحض ارادتهم رغبة منهم في ان ينالوا ما وعدهم به البابا من غفران ذنوبهم .

- خرج جيش من المانيا يقوده الراهب جوتشوك مكون من عشرين الف مقاتل - خرج جيش اوروبي بقيادة والتر الملقب بالمفلس على رأس جيش مكون من ١٥ ألف مقاتل
- خرج الكونت إميشو بجيش مكون من ٢٠٠ ألف محارب
- \* وهكذا بلغ عدد الجموع الصليبية ما يقرب من ٣٠٠ الف محارب صليبي

## مواقف ملوك الدول الاوروبية :

عندما قامت الحروب الصليبية سار تحت لواء البابا ومعه رجال الدين ،اما ملوك اوروبا فإنهم لم يشتركوا في الحملة الصليبية الاولى :

- ملك فرنسا فيليب الاول وإمبراطور المانيا لم يشتركا في اول حملة صليبية لأنهما كانا مطرودين من رحمة الكنيسة (على خلاف مع بابا الكنيسة الكاثوليكية) فقرر طردهما من رحمته وفق المفهوم المسيحي انذاك

- ملك اسبانيا كان في حرب صليبية في الأندلس مع المسلمين

- ملك انجلترا كان شابا صغيرا لا يهمله شيئا من أمور الدين

- \* ولذلك سارت هذه الحملات الصليبية في بادئ الأمر تحت لواء البابا

### دور رجال الدين :

لم يتورع رجال الدين وعلى رأسهم البابا ومن معه من الكهنة والرهبان والقساوسة الذين كانوا يقودوا هذه الجيوش تحت راية الصليب من استخدام أي وسيلة مهما كانت مليئة بالكذب والخديعة من اجل ضمان استمرار هذه الحشود في تحقيق مآربهم ومن بين هذه الوسائل هو استخدام اسلوب الخرافة

فقد زعم بطرس الناسك اولا ان المسيح عليه السلام ظهر له وهو في الهيكل وطالبه بالتحرك لإشعال هذه الحروب الصليبية قائلا له: "قم يا بطرس وأعلن هو ذا قد جاءت الساعة لإنقاذ عبيدي واسترداد الاماكن المقدسة .

## المحاضرة الثانية

### الحملة الصليبية الأولى

عناصر المحاضرة

• التعريف بالحملة

• مجريات الحملة

• تحرك الحملة

• النتائج

التعريف بالحملة

- تاريخ الحملة : انطلقت الحملة سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م، وانتهت في القدس سنة ١٠٩٩ م.

- دعا إليها البابا اوربانوس الثاني بابا روما ،وساعده في حشد نصارى اوروبا بطرس الناسك.

- عناصر الحملة :كان اغلب هؤلاء الغزاة في صفوف الحملة من قطاع الطرق والرعاع والأوباش .

- مسير الحملة :توجهت الحملة من غرب اوروبا وعبرت اراضي الدولة البيزنطية حتى وصلت بيت المقدس في فلسطين

- وصلت الحملة إلى بيت المقدس ”القدس“ فدخل الصليبيون المسجد الاقصى وأحدثوا مذبحه عظيمه حتى غرق المسجد بدماء المسلمين .

نتائج الحملة : اسس الصليبيون اربع إمارات في العالم الإسلامي هي:

الرها

طرابلس

بيت المقدس

أنطاكية

وقد عانى المسلمين في بلاد الشام من البطش والقتل على يد هؤلاء الغزاة  
مجريات الحملة:

الحملة الصليبية الأولى .

تألفت الحملة من ٤ جيوش أقطاعية بقيادة كل من جودفري دوق اللورين و ريموند صنجيل دوق الناربون و بوهيموند كونت تورانتو وروبرت دوق النورماندي.

أفترق أمراء الحملة الأولى في ٤ طرق وأجتمعا في القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية أستمر زحفهم حتى وصلوا إلى القدس واستولوا عليها في يوليو من عام ١٠٩٩ بعد حصار أستمر اشهرًا كاملا ،أستطاع الصليبيون تأسيس مملكة بيت المقدس وغيرها من الممالك الصليبية . وهذه الحملة الصليبية حققت هدفها المعلن وهو احتلال بيت المقدس

كانت الإمبراطورية البيزنطية ، المسيحية أرثوذكسية المذهب . وتحت حكم الإمبراطور الكيسوس الأول كومنينوس ، كانت الإمبراطورية محصورة بين أوروبا والشواطئ الغربية للأناضول ، وواجهت عداوة النورمان في الغرب والسلاجقة في الشرق . وبالاتجاه شرقا كانت الأناضول وسوريا وفلسطين ومصر كلها تحت الحكم الإسلامي ، ولكنها كانت منقسمة سياسيا وإلى حد ما ثقافيا في زمن الحملة الصليبية الأولى ، مما ساهم في نجاح تلك الحملة كانت كل من بلاد الشام والأناضول تحت سيطرة السلاجقة السنة ، والتي كانت إمبراطورية واحدة كبيرة ، ولكن في تلك الفترة كانت منقسمة إلى دويلات أصغر .

**وكان ألب أرسلان (زعيم السلاجقة) قد هزم البيزنطيين في معركة ملاذكرد عام ١٠٧١**

وضمّوا الكثير من الأناضول لمناطق السلاجقة ، ولكن هذه الإمبراطورية انقسمت بعد وفاة ملكشاه الأول سنة ١٠٩٢ . وفي دولة سلاجقة الروم في الأناضول ، خلف قلع أرسلان ملكشاه ، وفي سوريا خلفه تتش بن ألب أرسلان الذي توفي عام ١٠٩٥ . فورت أبناء تتش رضوان ودقاق حلب ودمشق على الترتيب ، مقسمين سوريا إلى إمارات يعادي بعضها بعضا ، كما تعادي كربغا أتايك الموصل . وكانت هذه الدويلات أكثر اهتماما في الحفاظ على مناطقها وكسب مناطق جديدة من جيرانها أكثر من اهتمامها بالتعاون ضد الحملة الصليبية

وفي مكان آخر تحت السيطرة الاسمية للسلاجقة كان الأرثقيون في شمال شرق سوريا وشمال العراق . سيطروا (الصليبيون) على القدس حتى عام ١٠٩٨ . وفي شرق الأناضول وشمال سوريا كان هناك دولة أسسها الدنشمنديون ، مرتزقة سلاجقة ؛ لم يكن للصليبيين اتصال يذكر مع أي من المجموعتين إلى ما بعد كانت مصر وأجزاء كبيرة من فلسطين تحت سيطرة الفاطميون الشيعة ، الذين تقلصت مساحة دولتهم بشكل ملحوظ منذ وصول السلاجقة ؛ نصح الكيسوس الأول الصليبيين بأن يتعاونوا مع الفاطميين ضد عدوهم المشترك متمثلا بالسلاجقة . أما الفاطميين ، يحكمهم في ذلك الوقت الخليفة المستعلي (مع أن السلطة الحقيقية كانت بيد الوزير الأفضل شاهنشاه) الحملة . كما أصبح الحشاشون ذوي دور مهم في شؤون سوريا

## المجريات

خسرت القدس لمصلحة السلاجقة عام ١٠٧٦ ، ولكن عادوا ليطروا عليها من الأرثقيين عام ١٠٩٨ حين كانت القوات الصليبية تتحرك . لم يعتبر الفاطميون في البدء الحملة الصليبية

خطرا يهددهم ، مفترضين أنهم أرسلوا من قبل البيزنطيين وأنهم سينشغلون بالسيطرة على سوريا ، وأنهم لن يصلوا فلسطين ؛ فلم يرسلوا أي جيوش لوقف الصليبيين حتى وصل الصليبيون فعلا إلى القدس . [في عام ١٠٩٥ أرسل ألكسيوس الأول مرسله إلى مجمع بياشزنا ليطلب من أوربانوس المساعدة ضد السلاجقة الأتراك. تلقى البابا أوربانوس طلب الإمبراطور بكثير من الحفاوة ، فكان يتمنى بأن يلتأم الشرخ بين الكنيستين الذي كان عمره ٤٠ عاما ، وأراد إعادة توحيد الكنيسة تحت السلطة البابوية كرئيس أساقفة العالم ، وذلك بمساعدة الكنائس الشرقية لدى استصراخها

وفي مجمع كليرمون، الذي عقد في وسط فرنسا في نوفمبر ١٠٩٥، ألقى أوربانوس خطبة مليئة بالعواطف لحشد كبير من النبلاء ورجال الدين الفرنسيين. فدعى الحضور إلى انتزاع السيطرة على القدس من يد المسلمين. وقال إن فرنسا قد اكتظت بالبشر ، وأن أرض كنعان تفيض حليباً وعسلاً. وتحدث حول مشاكل العنف لدى النبلاء وأن الحل هو تحويل السيوف لخدمة الرب : "دعوا اللصوص يصبحون فرسانا . " وتحدث عن العطايا في الأرض كما في السماء ، بينما كان محو الخطايا مقدما لكل من قد يموت أثناء محاولة السيطرة. هاجت الحشود وهاجت بحماس قائلة : ("هي إرادة الرب !").

## المجريات

**خطبة أوربان هي واحدة من أهم الخطب في تاريخ أوروبا.** وهناك العديد من نسخ الخطبة المختلفة ، ولكنها جميعا كتبت بعد السيطرة على القدس ، ومن الصعب معرفة ما قيل فعلا وما تم إضافته بعد الأحداث ونجاح الحملة. ولكن من المؤكد أن ردة الفعل على الخطاب كانت أكبر من المتوقع. نشر أوربان الرسالة في أنحاء فرنسا ، وحث أساقفته وكهنته بأن يعطوا في أسقياتهم في بقية مناطق فرنسا وألمانيا وإيطاليا أيضا. حاول أوربان منع أشخاص معينين (من ضمنهم النساء والرهبان والمرضى) من الانضمام للحملة ، ولكنه وجد ذلك شبه مستحيل. وفي النهاية كان السواد الأعظم من هؤلاء الذين انضموا للحملة الصليبية من غير الفرسان ، ولكنهم كانوا عبيدا ولم يكونوا أثرياء ولديهم قليل من المهارة في أساليب القتال ، ولكن المعتقدات الدينية وصكوك الغفران هي التي حركتهم.

## حركة الحملة

ثم تقدمت قوات الصليبيين إلى القدس وخلال المسير تقرر تقسيم الجيش إلى قسمين نظرا لكثرتهم على ان تكون المسافة الفاصلة بينهما مسيرة يومين ، وفي هذه الأثناء حشد قلع ارسلان حاكم قونية جموعه صد الصليبيين بعدما اخذوا منه نيقية إلا انه تعرض لهزيمة شديدة في معركة ضورليوم ومهد هذا النصر للصليبيين الاستيلاء على مدن وحصون عديدة في الأناضول بسبب إخلاء السلاجقة لها أو معاونة الارمن لهم. وقبل مسير الصليبيين إلى انطاكية لحصارها انفصل بلدوين عن الجيش الرئيسي وتوجه الى الرها

وكانت الرها تحكم من قبل امير أرمني يسمى طوروس الذي كان يخضع للسلاجقة وأراد طوروس ان يكون بلدوين وفرسانه جندا له بعدما سمع بانتصارات الصليبيين إلا أن فكرة ان يكون بلدوين وفرسانه جندا لطوروس لم يتقبلها بلدوين فتقرر ان يتبنى طوروس بلدوين كأبنا له لاسيما كون طوروس رجلا عقيما ومسنا.

قامت بعدها ثورة في الرها أسفرت عن مقتل طوروس وتنصيب بلدوين حاكما على الرها كوريث لطوروس.

اما الجيش الرئيسي لصليبيين تابع مسيرة حتى وصل الى:

أنطاكية حيث أستمر في حصارها طوال ثمانية أشهر حتى دخل الجيش الصليبي انطاكيه .

وكان سبب احتلال انطاكية هو خيانة أحد حراس الابراج ويدعى فيروز الذي مهد لهم لل صعود إلى أحد الابراج وفتح الأبواب والدخول إلى المدينة. ولعبت الخلافات بين حكام المسلمين المحليين دورا كبيرا في الهزيمة التي تعرضوا لها ، كالخلافات بين الفاطميين في مصر، والسلاجقة الأتراك بالأناضول وقتها. وباءت المحاولات لطرد الصليبيين بالفشل وقد استكملوا السيطرة على غالبية الأراضي المقدسة في فلسطين

نتائج الحملة

واسفرت الحملة الأولى عن:

احتلال القدس عام ١٠٩٩ وقيام مملكة بيت المقدس

بالإضافة إلى عدة مناطق حكم صليبية أخرى هي :

إمارة الرها

وانطاكية

وطرابلس بالشام

\*\*\*\*\*

## المحاضرة الثالثة

### جهاد المسلمين والرد على الحملة الصليبية الأولى

#### عناصر المحاضرة

- تمهيد
- ظهور آل زنكي
- عماد الدين زنكي
- تحرير الرها
- وفاة عماد الدين زنكي
- صفات عماد الدين زنكي
- اهمية تحرير الرها
- نشاط نور الدين زنكي ضد الصليبيين

التمهيد:

لم يمض على احتلال بيت المقدس من قبل الصليبيين عام واحد حتى واجهوا متاعب كثيرة من كل القوى الاسلامية المحيطة بهم، فعاش الصليبيون حوالي نصف قرن من الزمان يعانون من الحروب التي يشنها عليهم المسلمين في كل عام تقريبا، فأرهبوهم وكبدوهم خسائر هائلة في الارواح والأموال .

كانت الدولة الفاطمية قد عقدت حلفا مع الصليبيين ضد السلاجقة المسلمين، ولكن الفاطميين سرعان ما اكتشفوا طبيعة الخيانة والغدر عند الصليبيين وعدم احترامهم لعهودهم فكان لهم دور في الهجمات على الصليبيين

**ظهور آل زنكي**

كان لظهور شخصية عماد الدين زنكي وأبنائه من بعده في سنة ٥٢١ هـ اثر كبير في تاريخ الحروب الصليبية .

يقول ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ

(ولولا أن الله تعالى منّ على المسلمين بولاية الشهيد عماد الدين زنكي لكان الفرنجة قد استولوا على الشام جميعه ) .

عين زنكي اتابك الموصل من قبل السلطان السلجوقي محمود ليقوم بحفظها وإصلاح شأنها ، فأظهر زنكي في ولايته كفاية وقوة وصلاحا ، وكان له في جهاد الصليبيين همة لا تزال تذكر ، فكان لا ينقضي عاما حتى يستولي على جزء مما احتلته الفرنجة ، بالرغم من المخاطر الداخلية التي كانت تتهدد ملكه وبلاده تارة من قبل الخليفة المسترشد بالله الذي حاول أن يقف أمام نفوذ السلاجقة ، وتارة بسبب الصراع بين أفراد البيت السلجوقي .

### عماد الدين زنكي وتحرير الرها

قام القائد المجاهد عماد الدين زنكي بتوحيد معظم الجبهة الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة وبعد ان استعاد الكثير من القلاع والحصون والمواقع من يد الصليبيين ، بدأ يفكر بفتح واسترداد اكبر المدن المحتلة من قبل الصليبيين ، فالتفت الى اقرب الامارات الصليبية اليه وأكثرها خطرا وهي الرها وذلك لقربها من شمال العراق حيث الزنكيين في الموصل وتمتاز الرها بقوة تحصينها كما انها كانت تسبب للمناطق الاسلامية المجاورة اخطار لا تقف عند حد ، فقد كانت اخطارها تبلغ الرقة ونصيبين وغيرها مناطق الجزيرة الفراتية .

### تحرير الرها

فضلا عن أن هذه الإمارة كانت تشكل عائقا أمام زنكي ضد تحقيق الوحدة بين البلاد الشامية والجزرية بسبب تدخلها إلى جانب أعدائه وتهديدها لخطوط المواصلات والتجارة ، ولهذا كله فقد قام عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ بالتوجه إلى **الرها** و**عمد إلى خداع ملكها جوسلين بأن وجهته هي غير الرها ، مما جعل جوسلين يتركها إلى إحدى المناطق المجاورة الى الرها** عندئذ عاد عماد الدين إليها مسرعا بعد ان استنفر كل قواته وقوات المناطق المجاورة للرها فحاصرها ، ولم تجد محاولات الصليبيين إنقاذ المدينة من الحصار الذي دام ثمانية وعشرين يوما انتهت بفتح المدينة وسقوط أولى الإمارات الصليبية في الشرق .

لقد كان لسقوط الرها وتحريرها أهمية بالغة، فقد أعطى ذلك للمسلمين ثقة كبيرة بإمكانية مجابهة الصليبيين مجابهة فعالة وانتزاع حصونهم منهم، فضلاً عن أن القضاء على هذه الإمارة فتح الطريق الممتد بين آسيا الصغرى والعراق وبلاد الشام التي كان الفرنجة قد قطعوها أو هددوها. كما أن هذا الحدث نبه الصليبيين إلى خطورة موقفهم ودفعهم للإسراع إلى دعوة حملة عسكرية جديدة من أوروبا.

إن عماد الدين زنكي بعمله هذا مهد الطريق من بعده لابنه نور الدين محمود لكي يتم المهمة التي قام بها هو خير قيام حتى مقتله سنة ٥٤٧هـ/١١٤٦م وهو محاصر لقلعة جعبر يحاول ضمها إلى وحدته في طريقه لتحرير مناطق أخرى وعلى رأسها القدس الشريف الذي لم يتح له تحقيقه ولا لولده ولكن لأحد قواده وهو صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م

واستطاع عماد الدين هزيمة الصليبيين وتحرير مدينة الرها استعادتها إلى حظيرة ديار الإسلام بعد أن احتلها الصليبيون قرابة نصف قرن،

فلما دخلها عامل المسيحيين معاملة حسنة كريمة جعلتهم يشعرون بعدالة الإسلام وإنصاف القائد عماد الدين زنكي

### وفاة عماد الدين زنكي

إن الأسود لا يقتلون إلا في الظلام وإن الأبطال لا يُنالون إلا بالغدر والخيانة، وتلك هي المأساة الكبيرة التي عانت منها أمة الإسلام على مر عصورها، فكلما ظهر فيها بطل أو قائد أو داعية أو عالم في الشرع أو في فرع من فروع العلوم أو نبغ أحد في أي مجال من المجالات التي ستحقق خيراً ونفعاً للمسلمين فإن أعداء الأمة والدين يعملون على إزاحة هذا النابغة بشتى الوسائل **فقتل القائد المجاهد عماد الدين زنكي على يد جماعة من الباطنية وهو محاصر لحصن جعبر الذي يطل على الفرات.**

وتشير أصابع الاتهام إلى الباطنية أصحاب اليد الطولي في اغتيال العناصر الإسلامية المجاهدة منذ القرن الثالث الهجري

صفات عماد الدين زنكي

يصفه ابن الأثير في كتاب البيدلية والنهاية بالقول :-

\*"كان شديد الهيبة على عسكره ورعيته

\*عظيم السياسة

\*لا يقدر القوي على ظلم الضعيف في عهده

\* وكانت البلاد قبل أن يملكها خرابا من الظلم وتنقل الولاية ومجاورة الفرنج فعمروها وامتلات أهلا وسكانا .

\*كان أيضا شديد الغيرة على نساء الأجناد .

\*كان أشجع خلق الله

كان عماد الدين زنكي يعرف قدر 'جوسلين' أمير الرها الصليبي ودهائه وحنكته لذلك وضع خطة في غاية الذكاء فهو كما يقولون [لا يفل الحديد إلا الحديد] فلقد أظهر عماد الدين أنه مشغول بحرب القبائل **الكردية** التي تسيطر على قلاع كثيرة في منطقة ديار بكر 'جنوب تركيا الآن' ولا تقبل الانضمام لصف عماد الدين زنكي لدواعي عصبية وقبلية، وبالفعل انطلت هذه الخدعة على 'جوسلين' الذي خفف من شدة التحصينات وتراخى في دفاعاته حتى أنه قد سافر لزيارة أهله في **فرنسا**، وكان عماد الدين زنكي قد بث العيون التي ترفع له الأخبار ليل نهار فلما علم مغادرة 'جوسلين' وتراخت الدفاعات ، نادى في معسكر جيشه بالهجوم على الرها

### **أهمية تحرير الرها**

تقع إمارة الرها في منطقة الجزيرة الفراتية وهي المنطقة الواسعة الواقعة بين نهر الفرات ونهر دجلة، وقد فتحها المسلمون سنة ١٧ هجرية، و'الرها' من البلاد التي كان لها خصوصية عند البيزنطيين لأنها إحدى المدن الدينية عندهم وكانت تنتشر بها الكنائس والصوامع ، وأيضا لها خصوصية عند المسلمين لكونها على حدود الدولة الإسلامية المشتركة مع الدولة البيزنطية، وكان الخلفاء دائمي الاهتمام بهذه المنطقة، ولكن مع ضعف الخلافة العباسية وخروج كثير من أجزاءها عن سيطرتها تعرضت منطقة الرها للعدوان المتكرر من البيزنطيين.

## نشاط نور الدين زنكى ضد الصليبيين :-

لقد كانت هنالك ثلاثة مظاهر متكاملة ميزت نشاط نور الدين تجاه الصليبيين وهي:

### ١- سياسة الردع ( الضربات الاستباقية للعدو )

### ٢- توحيد جبهة المواجهة

### ٣- الهجوم المؤقت ( الخاطف )

وكانت هذه المظاهر متداخلة ففي الوقت الذي يقوم به بردع محاولة هجوم ج فإنه يلجأ إلى محاولة ضم فئة جديدة ليعقب ذلك بهجوم جديد على موقع او حصن صليبي مهم .

بالنسبة لعملية الردع تمكن نور الدين منذ الأيام الأولى لحكمه من صد محاولة قام بها أمير الرها الإفرنجي السابق جوسلين لاستعادة المدينة مستغلا فرصة عدم وضوح الأمور بعد وفاة عماد الدين ، فلحقه نور الدين إلى الرها وهزمه قبل أن يتمكن من احتلال قلعتها واستعادها ثانية وعزز موقعه فيها .

وكذلك وفي نفس السنة حاول ريموند أمير طرابلس اجتياح حلب وحماة فأرسل قوات لتهب أطرافها وإزعاج سكانها ، وأثناء عودة هذه القوة الصليبية أطبقت قوات المسلمين عليها وانتزعوا منها ما نهبتة وكبدوها خسائر كبيرة

كما انه الحق الأضرار ببعض حصون الصليبيين وممتلكاتهم في المنطقة ، وبذلك اشعر نور الدين الصليبيين بأنه ليس بالخليفة السهل الضعيف لوالده بل ندهم القوي الذي بدؤوا يخافونه ويحسبون حسابه

\*\*\*\*\*

## المحاضرة الرابعة

### الحملة الصليبية الثانية

عناصر المحاضرة

\* مجريات الحملة الصليبية الثانية

\* جهود نور الدين زنكي في مقاومة الصليبيين:

\* ضم دمشق

\* ضم مصر

\* مجريات الحملة الصليبية الثانية

- في الوقت الذي كان نور الدين زنكي يحاول فيه تقوية مركزه ( في بلاد الشام) وصد

هجمات الإمارات الصليبية على أرضه كانت الحملة الصليبية الثانية قد تم إعدادها

وهي في طريقها للشرق العربي الإسلامي، وقد كانت هذه الحملة سنة ٥٤٢ هـ -

٥٤٤هـ / ١١٤٩-١١٤٧م وهي رد الفعل تجاه الكارثة التي حلت بالصلبيين اثر  
تحرير الرها على يد عماد الدين زنكي ( هام \ الهدف من الحماة الثانية )

وقد استعان هؤلاء من جديد بأوروبا لكي ترسل لهم المزيد من القوات في حملة جديدة  
لاستعادة الرها والقضاء على عماد الدين زنكي **وقد استجاب البابا ايوجينوس الثالث  
لطلبهم** فبدأ من سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م باستنفا الأوروبيين وترغيبهم بالتوجه نحو  
المشرق الإسلامي وسخر لهذا الغرض مجموعة من معاونيه من كبار الأساقفة ونجح في  
النهاية بإقناع كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا بالمشاركة مع لويس التاسع ملك فرنسا  
لقيادة الحملة الجديدة بعد الكثير من التردد (هام)

وقد وصل الاثنان إلى سواحل بلاد الشام في ربيع سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م مع ما تبقى من  
جيشيهما ، فقد أباد سلاجقة آسيا الصغرى "سلاجقة الروم" تسعة إغشار جيش كونراد بعد  
عبوره من القسطنطينية إلى آسيا الصغرى كما أن السلاجقة ذاتهم قد أنهكوا قوات لويس  
بمهاجمتها في عدة نقاط وهي في طريقها إلى فلسطين عبر البر على شواطئ البحر  
الأبيض المتوسط . وعندما وصلت هذه الحملة مشتته إلى سواحل بلاد الشام سنة  
٥٤٣هـ / ١١٤٨م

كانت أهواء أصحاب الإمارات (انطاكية ، طرابلس ، بيت المقدس ) الصليبية منقسمة على  
بعضها ، فقد وصلت المنافسات بينهم حدا كبيرا بحيث تألب بعضهم على بعض ولم يعد  
يساعد بعضهم بعضا عند تعرضه للخطر إلا نادرا كما حصل لجوسلين عندما ترك وحده  
أمام عماد الدين زنكي الذي قهره واخذ الرها منه ، وكانت رغبة أمير أنطاكية أن يتوجه  
الجميع لحصار حلب والقضاء على نور الدين فيها بينما كانت فكرة جوسلين هي أن  
يساعده جند الحملة الباقون في استرجاع الرها

ولكن آراء الفرنجة "الصلبيون" الشماليين لم تحظ بالإنصات فقد استخدمت مملكة بيت  
المقدس الحملة بكاملها لاحتلال دمشق لأنها أكثر تهديدا للقدس من أي مكان آخر وهكذا  
بدت مصالح كل طرف تطغى بشكل واضح وكان نتيجة ذلك عدم اشتراك أمراء كل من  
أنطاكية وطرابلس في هذه الحملة ، وكان نتيجة هذه الحملة فشلا ذريعا مهينا للصلبيين ،  
فقد قام الصليبيون بحصار دمشق بحوالي خمسين ألف مقاتل وهو أكبر عدد يجمعه  
الصلبيون لعملية واحدة في بلاد الشام إلا أن قائد عسكر البوريين فيها "أنر" استغاث

بسیف الدین ونور الدین أبناء عماد الدین زنکی فجاءوا من الموصل وحلب ، **فاضطر الصليبيون إلى الانسحاب نتيجة مقاومة المدينة الباسلة وموقف الزنكيين الموحد وذلك بعد خمسة أيام فقط من الحصار دون أن يحققوا أي مكسب** وبانتهاء هذه الحملة الفاشلة مباشرة عاد كونراد الثالث إلى ألمانيا وتبعه في السنة الثالثة لويس السابع لى فرنسا بعد أن ألقى الأخير بتبعة الفشل المهين على البيزنطيين متهما إمبراطورهم مانويل كومنين بالخيانة والتقصير.

### \* جهود نور الدين في مقاومة الصليبيين

لكي يواجه نور الدين خطر الصليبيين اخذ يعمل على طردهم من الأرض العربية الإسلامية فكان عليه أن يوحد جبهته ويحفظها لكي يحقق اكبر فعالية ممكنة لقواته وقوات المنطقة في حروبها مع الغزاة ولتحقيق ذلك لجأ إلى **شتى الوسائل الدبلوماسية والعسكرية الضرورية فوطد علاقاته مع سلاجقة آسيا الصغرى بتزوجه من ابنة مسعود بن قلقج ارسلان سلطان سلاجقة الروم "مصاهرة سياسية"** كما ابقى علاقته مع اخوه الأكبر سيف الدين غازي ومن بعده الأصغر قطب الدين مودود في الموصل جيدة غير مرتبكة وحافظ على تعهداته لهم بعدم التعرض لبلادهم ، كما انه قام بأخذ سنجار وجعلها تحت إشرافه سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م وذلك بعد وفاة سيف الدين غازي حتى لا تخرج من أيدي الزنكيين إلى غيرهم وللمحافظة على وحدة البلاد بوجه الصليبيين .

### \* ضم دمشق

فكر الزنكيون دائما بضم دمشق إلى جبهتهم لأهميتها البالغة وقيمتها ، ولأنها اقرب من حلب إلى القدس التي يعد تحريرها هو الهدف الأسمى للزنكيين ، وكان عماد الدين زنكى قد حاول ضمها ولكنه لم يتمكن من ذلك ، وحاول نور الدين التقرب من حاكمها بالطرق الدبلوماسية وشارك في الدفاع عنها ضد الحصار الصليبي سنة ٥٤٣هـ

كما انه تزوج من ابنة قائد عسكرها أنر ، ولكن جهوده الدبلوماسية هذه لم تثمر **حتى سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م عندما سيطر الصليبيون على مدينة عسقلان** ولم يتمكن نور الدين من فعل شيء بسبب وقوع دمشق بينه وبين فلسطين ، فعمد إلى زرع الشك بين أمير المدينة مجير الدين البوري وقادته العسكريين مما اضعف به الحكم في دمشق وسهل عليه دخولها

وضمها ، وبهذا ضم دمشق لدولته وأصبحت معظم بلاد الشام بيده باستثناء البقع التي يحتلها الصليبيون والتي فيها بعض حصونهم

### ضم مصر

لم يكن نور الدين يفكر بضم مصر التي تخضع لحكم الفاطميين بسبب ظروفه السياسية والعسكرية وصراعه مع الصليبيين في الشام ، وهذا لم يسمح له بالدخول في صراع مع الفاطميين ، إلا أن الظروف تغيرت وبدأ نور الدين يفكر بضم مصر لملكه في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م عندما قدم إليه وزير العاضد الفاطمي وهو شاور السعدي يطلب منه مساعدته في إرجاعه لمنصب الوزارة في مصر "الدولة الفاطمية" بعد عزله عن الوزارة مقابل تقديم هذا الوزير العهد بالإذعان والولاء لنور الدين زنكي فيما يأمره به فوجه نور الدين في السنة التالية ٥٥٩ هـ قائده أسد الدين شيركوه ليقوم في المهمة فأتىها على أحسن وجه ولكن شاور انقلب عليه بعد أن عاد إلى وزارته واستدعى الصليبيين لمعاونته ضد أسد الدين شيركوه مما اضطر الأخير إلى الانسحاب ولكن ليس قبل أن يقاتل ببسالة كبيرة مع جنوده القليلين ضد الصليبيين الذين اضطروا إلى تركه بعد أن وضع نور الدين من جهته ضغطاً على الجبهة الشمالية للصليبيين لكي يضطروهم إلى الانسحاب وترك أسد الدين فتمكن الأخير من الانسحاب بعد أن قاتل ببسالة ، وقد نجح نور الدين في استرداد وتحرير باتياس من أيدي الصليبيين .

ثم عاد نور الدين وأرسل أسد الدين شيركوه إلى مصر لعقاب الفاطميين على خيانتهم وتحالفهم مع الصليبيين ضده سنة ٥٦٤ هـ فعين العاضد أسد الدين شيركوه وزيراً له بسبب خيانة شاور واستدعائه للصليبيين الذين نهبوا خيرات ومصر وأرهبوا سكانها وبذلك بسط نور الدين يده على مصر التي أصبح وزيرها قائده أسد الدين ، ثم جاء صلاح الدين الأيوبي وقضى على الدولة الفاطمية وأسقطها بعد أن قضى عليها وأعلن ضم مصر لأملاك الخلافة العباسية ودعا للخليفة العباسي المسترشد على منابرها .

\*\*\*\*\*

خارطة الحروب الصليبية



## المحاضرة الخامسة

عنوان المحاضرة

جهود الأيوبيون في مواجهة الغزو الصليبي

عناصر المحاضرة

لمحة عن أصل الأيوبيين

التعريف بصلاح الدين الأيوبي

جهود صلاح الدين الداخلية

الأيوبيون والصليبيين

أسباب التحرك ضد الصليبيين

معركة حطين

### لمحة عن أصل الأيوبيين

قامت في ارض الخلافة العباسية في عصرها الأخير دولة جديدة في مصر والشام واليمن هي الدولة الأيوبية التي بدأت سنة ٥٦٤هـ/١٦٩م في مصر ثم توسعت وتفرعت من بعد موت مؤسسها صلاح الدين الأيوبي إلى عدة فروع ودول واختلفت أعمار هذه الفروع فبعضها انتهى أمره على يد المماليك وبعض آخر على يد المغول في حدود منتصف القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي

### صلاح الدين الأيوبي

سمى الأيوبيون بهذا الاسم نسبة إلى جد الأسرة أيوب بن شادي والد صلاح الدين الأيوبي والمتوفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م **وليس لأيوبي شأن في إنشاء هذه الدولة وإنما منشؤها هو**

### صلاح الدين الأيوبي

### صلاح الدين الأيوبي

ولد صلاح الدين في تكريت سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م ثم انتقل مع والده نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه إلى الموصل حيث عملا في خدمة اتابكهما (اي الاستاذ المعلم) المشهور عماد الدين زنكي ومن بعده ابنه نور الدين محمود كقائدين عسكريين كفوعين مخلصين ،وقد التحق صلاح الدين أيضا كما التحق إخوته وأبناء عمه في خدمة نور الدين محمود ،ومن جملة المهام التي كلفه بها نور الدين محمود هي الذهاب إلى مصر في معية

أسد الدين شيركوه لمساعدة أهلها ضد الصليبيين سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وعندما أصبح أسد الدين وزيراً للفاطميين هناك بقي صلاح الدين معه ثم خلفه على هذا المنصب إلى سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م عندما أعلن الخطبة في مصر للخليفة العباسي وعودتها إلى بلاد الخلافة بعد مائتين وسبعين سنة من الحكم الفاطمي وقد بقي صلاح الدين تابعاً لنور الدين محمود حتى وفاة الأخير سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م عندئذ أعلن استقلاله عن الزنكيين وبدأ بتأسيس دولته وحاز على إقرار من الخليفة العباسي المستضيء سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م بمنحه السلطنة على مصر والنوبة واليمن والمغرب – من مصر إلى طرابلس – وفلسطين ووسط بلاد الشام

### جهود صلاح الدين الداخلية

لقد بدأ صلاح الدين منذ سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م العمل على ضم بلاد الشام والجزيرة الفراتية (أي ما بين دجلة والفرات شمال العراق وسوريا) إلى ما هو بيده وهي مصر والنوبة واليمن من أجل خلق جبهة موحدة في مواجهة الإمارات والمعازل الصليبية على السواحل الشامية وفي القدس أملاً في تحقيق استمرار جهود نور الدين محمود فتمكن من ضم دمشق وحلب وحمص وحماة وقلعة آمد وحصن كيفا وسنجار وغيرها، وبذلك كون وحدة مترابطة تحيط بالإمارات الصليبية وتمتلك بعداً جغرافياً وعمقاً استراتيجياً يوفر لصلاح الدين مستلزمات تكوين جيوش دائمة. وبذلك أصبح مستعداً للتقدم خطوة أخرى إلى مرحلة جديدة من نضاله وهي مرحلة صراعه الحاسم مع الإفرنج الصليبيين التي بدأت سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م وحقق فيها انتصاراته المشهورة في حطين واستعاد بيت المقدس من أيدي الغزاة الصليبيين.

### الأيوبيون والصليبيين:

أن الحروب بين الأيوبيين والصليبيين تكون المحور الأساسي في تاريخ الدولة الأيوبية وذلك أن الأيوبيين ورثوا هذه الحروب من جملة ما ورثوه عن الزنكيين لقد بدأ صلاح الدين الأيوبي صراعه مع الصليبيين حتى قبل أن يكون دولته، وعندما كونها فإن هدفه الأساس من وراء ذلك كان التصدي الإيجابي الحاسم للوجود الصليبي، ولهذا فإن فترة حكم صلاح الدين يمكن تقسيمها إلى قسمين، الأول منها هو مرحلة الإعداد وتوحيد الجبهة

الشامية المصرية . أما القسم الثاني فهو المواجهة العسكرية الحاسمة مع مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى .

ولا يعني هذا أن الفترة الأولى خلت من التصادم بين الطرفين ، بل حصل فيها الكثير من ذلك ومنذ اللحظة الأولى لوجود صلاح الدين في مصر ، إلا أن موقف صلاح الدين فيها اتسم بالترث وعدم المبادرة إلى الهجوم حتى يعد للأمر عدته من توحيد جبهة مصر والشام ، فقد قام الصليبيون في الأيام الأولى لوزارة صلاح الدين للفاطميين بمصر بمهاجمة دمياط إلا أن صلاح الدين أفضل هجومهم وردهم على أعقابهم خاسئين بمعاونة نور الدين زنكي الذي أمده بالعساكر تباعا

ثم قاموا بهجوم آخر على مصر لا يقل عن الأول سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م مباشرة بعد وفاة نور الدين محمود مستغلين ذلك للقضاء على صلاح الدين ، وقد قصدوا هذه المرة الإسكندرية وتم دحرهم ثانية بصمود أهلها وشجاعة صلاح الدين .

بحلول سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م شعر صلاح الدين انه أتم وحدة بلاده التي تحدثنا عنها سابقا وبأنه لم يبق له إلا أن يسير إلى الجهاد ضد الصليبيين جهادا حاسما فاستدعى عساكره من سائر أنحاء الدولة وذلك للتوجه بها إلى حطين

### أسباب التحرك ضد الصليبيين

وقد حدا بهذا التحرك جملة دوافع ، أهمها ثلاثة :

١- إيمان صلاح الدين وجنده بضرورة الجهاد لإخراج الغزاة الطارئين على الأمة من بلاد الشام

٢- أن الوجود الصليبي في المشرق العربي الإسلامي كان قد سبب الكثير من الإزعاج والمخاطر وأعاق حركة الحياة الطبيعية اقتصاديا وسياسيا في الديار الشامية والمصرية

٣- غدر بعض أمراء الصليبيين وخروجهم على المعاهدات السلمية المعقودة مع صلاح الدين مثل ما قام به أمير الكرك الصليبي ارناط بقطع الطريق على التجار والحجاج (المسلمين) وسلبهم ونهبهم واسر رجالهم وقتلهم فكان هذا السبب مباشرا للتحرك السريع

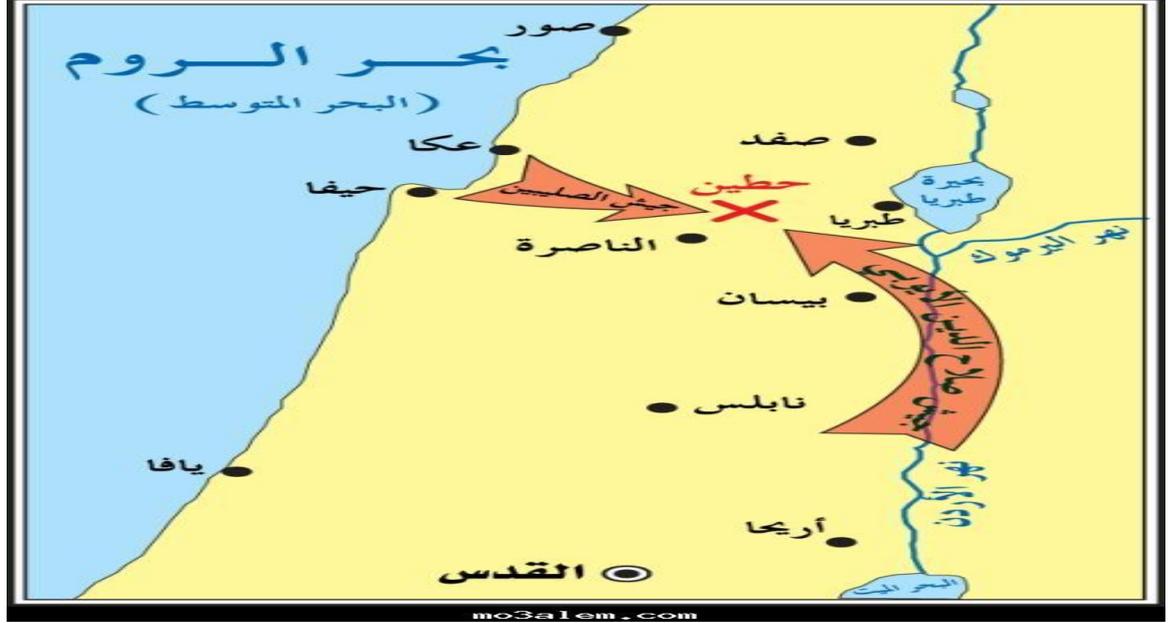
## معركة حطين :

يتضح لنا مما تقدم أن مجموعة أسباب توفرت لصالح الدين دفعته إلى شن الحرب على الصليبيين وبالذات تلك التي أوجدت انقساماً داخلياً بين الصليبيين بصورة جعلت المؤرخين المسلمين المعاصرين يعتبرونها من الأسباب الموجبة لفتح بلادهم ، وأوقع صلاح الدين بالجيش الصليبي هزيمة ساحقة قرب صفورية سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م مما كان له أسوأ الأثر على سياسة ريموند الثالث أمير طرابلس ، الذي ما لبث أن نقض تحالفه مع صلاح الدين لإدراكه من أن الدائرة سوف تدور عليه لا محالة

## موقع حطين



## خارطة توضيحية



لم ير صلاح الدين بدا إزاء ما أقدم عليه ريموند الثالث من دعوة جنده إلى مواصلة الهجوم على الأماكن الصليبية فباغت طبرية سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م في محاولة يرمي من خلالها إلى إخلاء صفورية من العسكر الصليبي ضمن خطة استهدف من خلالها إرغامهم على ترك مواقعهم ليواجههم بعد أن يعثريهم التعب وينزل بهم الهزيمة وهكذا تحقق له ما أراد حيث تحرك الصليبيون إلى نواحي حطين وهم في تعب شديد بينما كان المسلمون في راحة واستقرار وعلى أهبة الاستعداد

ولم تنقطع غارات المسلمين عليهم أثناء زحفهم من صفورية إلى حطين وأوقعوا الكثير منهم قتلى وأربكواهم بعد أن أصابوهم وقد استخدم المسلمون أسلوب الكر والفر وسرعة الالتفاف والمباغطة.

وتظهر خبرة صلاح الدين العسكرية في إدارة المعركة، فبعد أن زين للصليبيين ترك مواقعهم من صفورية دمر صهاريج الماء في منطقة القتال وأغلق الطريق المؤدية إلى بحيرة طبرية لمنع الصليبيين من الوصول إليها، وسرعان ما أدرك الصليبيون أنهم محاصرون ففروا إلى قرون حطين، وفي ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وقعت المواجهة المباشرة في معركة حطين الشهيرة بين صلاح الدين والصليبيين حيث دارت مقتلة عظيمة كان النصر فيها لصلاح الدين.

وكان أن لاح النصر في حطين للمسلمين بتأثير ذلك الإخفاق الذي مني به ريموند الثالث الصليبي لعجزه عن الوصول إلى ينابيع الماء على الطريق المؤدي إلى حطين معرضاً قواته إلى حصار مفاجئ من قبل المسلمين مما أوقع عدداً كبيراً منهم بين القتل والأسر، ومما زاد الأمر سوءاً لدى القيادة الصليبية أن المشاة لم يثبتوا كفاءة قتالية فارتبكوا وانسحبوا إلى قرون حطين الأمر الذي يعد سبباً في تراجع القوة الصليبية وتفكك جيشهم وهزيمتهم هذه الهزيمة النكراء.

\*\*\*\*\*

## المحاضرة السادسة

جهاد صلاح الدين ضد الصليبيين بعد معركة حطين

عناصر المحاضرة

١- إجراءات صلاح الدين الداخلية

٢- سماحة صلاح الدين مع سكان القدس

٣- ترحيب اليهود والنصارى في القدس بانتصارات صلاح الدين

٤- تقييم عام

نجاح صلاح الدين في إثارة الصليبيين في وقت رتب فيه المقاتلة على التلال الواقعة غرب طبرية التي لم يستطع الأعداء التقدم إليها وانتهى الأمر بأن أرغموا على التوقف في منتصف الطريق عند حطين، ومهما يكن من أمر فقد اشتد العطش بالصليبيين

عند حطين فأخذتهم سهام المسلمين الذين قاموا بهجوم شامل أنهوا به المعركة وأسروا الملك جاي لوزجنان ومن معه من الأمراء والزعماء والقادة، حيث عاملهم صلاح الدين بما ينطوي على الود والتسامح باستثناء رينولد شاتون، "ارناط امير الكرك" الذي أمر بقتله، لأنه اعتدى على الحجاج والتجار المسلمين وعاث فسادا .

ولا يخفى علينا الأثر الطيب الذي أحدثه انتصار المسلمين في حطين، فقد ارتقى بشخصية صلاح الدين بحيث صار ينظر إليه باعتباره رمزا مخلصا يلتف حوله المسلمون الذين ما لبثوا أن استردوا كرامتهم، وتطلعوا إلى الخلاص من المستعمر الصليبي، وأخذ الصليبيون يشعرون بكارثة عسكرية من شأنها أن تحول دون حفاظهم على ما بقي بأيديهم من ممتلكات والأمر الجدير بالإعجاب أن الغرب الأوروبي لم ينكر السياسة الهادئة والمتسامحة التي سلكها صلاح الدين تجاه الأمراء الصليبيين ومدحوه بالأخلاق القويمة .

أخذ صلاح الدين يجني ثمار انتصاره في حطين، وبدأ يتجراً في الإعداد لتصفية الوجود الصليبي كله، ففاجأ الموانئ الساحلية بهدف منع اتصالها بالغرب الأوروبي وهكذا استولى في نفس السنة ودون عناء على عكا والناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية وبيروت وجبيل وعسقلان سالكا سياسة سمحت لسكان تلك النواحي من الصليبيين بالرحيل إلى صور الأمر الذي جعل هذه المدينة مركزا اتخذه الصليبيون أساسا لإحياء مملكة بيت المقدس في وقت لاحق .

## ٢- سماحة صلاح الدين مع سكان القدس

سرعان ما توجه صلاح الدين إلى الداخل مستهدفا استرداد بيت المقدس فنزل الصليبيين بها في رجب ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وأرغمهم على التسليم بعد أن ابدوا مقاومة، وسمح لهم بالخروج من المدينة مقابل فداء تراوح بين عشرة دنانير للرجل وخمسة دنانير للمرأة ودينارين للطفل تؤدي خلال أربعين يوما على أن يصير الراضون للأداء ممالك للمسلمين، وكان أن بالغ صلاح الدين في تسامحه حين علم بالآلاف الفقراء الذين لا يملكون القدرة على الأداء ولم يقرر عليهم سوى مبلغ ثلاثون ألف دينار عن ثمانية عشر ألفا منهم. وأبدى استعداداه لإطلاق سراح كل امرأة أو عجوز فضلا عما وهبه من الأسرى لبطريك المدينة وقائد حاميتها بليان الأبليني .

## ٣- ترحيب اليهود والنصارى في القدس بانتصارات صلاح الدين

وقد فرح الأرثوذكس وأتباع الكنيسة الشرقية بعودة الحكم الإسلامي لمدينة القدس لما اشتهر به المسلمون من التسامح الديني مع أهل الذمة ، وقد أبدى الإمبراطور البيزنطي الأرثوذكسي إسحاق كومنين فرحة كبيرة وأرسل إلى صلاح الدين يهنئه بالاستيلاء على بيت المقدس وطلب تجديد التحالف معه ضد اللاتين الغربيين ”الصلبيين“ على حين نظر نصارى الغرب إلى هذا النجاح الذي حققه المسلمون بوصفه كارثة شديدة أملين في إعادة ما كان لهم من مجد في الشرق العربي الإسلامي قبل حطين وضياع القدس .

وعلى نحو ما ذكرنا فقد اتخذ الصليبيون من صور مركزا ثابتا ودافعا لهم من أجل العودة ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل أن البابوية أثارت ملوك أوروبا مشجعة إياهم لإعداد حملة صليبية بهذا الخصوص . أما اليهود فقد أعلنوا تأييدهم لسياسة صلاح الدين الأيوبي في بيت المقدس ورحبوا بانتصاره وسمح لهم صلاح الدين بالعودة إلى المدينة والإقامة فيها ، أما المسلمون فقد صادف دخولهم بيت المقدس ذكرى الإسراء والمعراج سنة ٥٨٣ هـ فاحتفلوا بهذه المناسبة وسمحوا لأهل القدس بشتى دياناتهم بحياة مدنية هادئة دون أن يعكر لهم صفواو يمسخهم سوء .

إنها سماحة الإسلام الحنيف مع غير المسلمين

الأيوبيون والصلبيين:

أن الحروب بين الأيوبيين والصلبيين تكون المحور الأساسي في تاريخ الدولة الأيوبية وذلك أن الأيوبيين ورثوا هذه الحروب من جملة ما ورثوه عن الزنكيين لقد بدأ صلاح الدين الأيوبي صراعه مع الصليبيين حتى قبل أن يكون دولته وعندما كونها فأن هدفه الأساس من وراء ذلك كان التصدي الايجابي الحاسم للوجود الصليبي ، ولهذا فإن فترة حكم صلاح الدين يمكن تقسيمها إلى قسمين ، الأول منها هو مرحلة الإعداد وتوحيد الجبهة الشامية المصرية . أما القسم الثاني فهو المواجهة العسكرية الحاسمة مع مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى .

غير أنه لا يزال بهذه الآونة مناطق عديدة لا تزال بأيدي الصليبيين لا يمكن التقليل من خطورتها وبالذات المدن الكبرى صور وأنطاكية فضلا عما بحوزتهم من قلاع وحصون داخلية لا بد من استردادها ، وإزاء ذلك كله قرر صلاح الدين البدء في خوض مرحلة جهادية أخرى لتنتقية هذه النواحي من الوجود الصليبي .

فرض صلاح الدين حصاره على مدينة صور في رمضان سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م لكن بسالة قائدها كونراد دي مونتغيرات (مهم الاسم) ومناعة تحصيناتها قد حال دون ذلك ،فحول صلاح الدين طريقه نحو الشمال حيث فاجأ الحصون التابعة لطرابلس بعد وفاة صاحبها ريمون الثالث واستولى على جهاتها الشمالية حيث بانياس ووالى زحفه نحو أنطاكيا فسيطر على اللاذقية أهم مدنها ،وسرعان ما وقع في قبضته سنة ٥٨٤هـ قلعتان صليبيتان هما دربساك وبغراس

#### ٤- تقييم عام

وخاتمة القول أن صلاح الدين قد استرد خلال عام أو يزيد قليلا بيت المقدس وكثير من القلاع والحصون الصليبية ولم يبق أمامه سوى إلا القليل من الحصون الصليبية ،الأمر الذي جعله في أمس الحاجة إلى إعداد العدة لمرحلة لاحقة يستكمل بها أعماله العسكرية لإتمام عملية تحرير مدن صور وطرابلس وأنطاكية وقليل من الحصون

على حين دعا الصليبيون أوروبا للتدخل إنقاذاً لهم وسعياً من أجل البقاء في المشرق العربي الإسلامي ،ونتج عن ذلك قيام حملة

#### صليبية جديدة

\*\*\*\*\*

## خارطة الحملة الصليبية



عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد  
Deanship of E-Learning and Distance Education

[ ]

جامعة الملك فيصل  
King Faisal University



## المحاضرة السابعة

### الحملة الصليبية الثالثة

#### عناصر المحاضرة

١- مسير الحملة وأحداثها

٢- صلح الرملة

٣- شروط الصلح

٤- نتائج الحملة الثالثة

٥- وفاة صلاح الدين رحمه الله

٦- الأحوال بعد وفاة صلاح الدين

#### ١- مسير الحملة وأحداثها

لم يعد في المعسكر الصليبي رجل مهموم بتلك الكوارث التي مر بها الصليبيون أقوى من كونراد دي مونتيفيرات قائدهم في صور (حيث تجمعوا) ، وذلك انه عاجل البابوية بمبعوث أوفده طالبا تدخلها لدى ملوك أوروبا لإرسال حملة صليبية في وقت غاب فيه عن الظهور في هذا السبيل بوهيموند الثالث صاحب أنطاكية وخلت فيه الساحة من ريموند الثالث صاحب طرابلس وكان أن تم لكونراد ما أراد إذ استجاب لدعوة البابا من أجل العودة إلى بيت المقدس ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب اوغسطس ملك فرنسا وفريدريك بربروسا ملك المانيا.

وكان أن اختار فريدريك بربروسا (ملك المانيا) طريق البر عبر أراضي الدولة البيزنطية لارتباطه بمعاهده معها ، ولكن صلاح الدين كان يعلم ما آلت إليه العلاقة بين إمبراطور بيزنطة إسحاق انجيليوس وفريدريك بربروسا من تبادل فضلا عن علمه بشكوكه في نواياه

وغدره وعدم ثقته به ، لينتهي الأمر بدخوله في التحالف مع بيزنطة على أساس أن يقوم إسحاق انجيلوس بإعاقه تقدم الإمبراطور فريديك بربروسا في آسيا الصغرى .

على أن مخاوف الإمبراطور البيزنطي من نوايا فريديك بربروسا سرعان ما ازدادت وبالذات بعد أن اخذ هذا الأخير يستعد لمهاجمة القسطنطينية الأمر الذي أدى إلى تعجيل بيزنطة بعبور القوات الألمانية إلى آسيا الصغرى ولكن شيئا من ذلك كله لم يؤد إلى نتيجة بسبب غرق الإمبراطور فريديك بأحد انهار آسيا الصغرى وفشل حملته وكان حينئذ ينوي المسير نحو أنطاكية .

وكان أن تجمع بقايا الصليبيين في صور وانطلقت قاصدة عكا وصادف ذلك وصول فيليب اوغسطس بحملته البحرية قادمة من صقلية سنة ٥٨٧هـ / ١١٩٠م ليشارك في حصار عكا التي تأثرت بهروب الأمراء المسلمين الجزريين واشتد ضعفها بوصول حملة ريتشارد قلب الأسد إليها في جمادي الآخر سنة ٥٨٧هـ / ١١٩٠م ، ولتعاظم هجوم الصليبيين عليها سقطت المدينة ونكل بالأسرى المسلمين وأمر ريتشارد بذبحهم ولم تفلح جهود صلاح الدين في إنقاذها وأرغم أسفا على قبول شروط التسليم التي عقدها الصليبيون مع حامية عكا .

وقد تمسك (صلاح الدين) ببيت المقدس من جديد ولعدم ثقته في كونراد صاحب صور رفض اقتراحا منه كان قد حمله صاحب صيدا آنذاك ، يعلن استعداده لقصد عكا واستخلاصها للمسلمين مقابل تنازله عن صيدا وبيروت ، على أن انتصار ريتشارد في ارسوف لم يكن حاسما كما أن قوة صلاح الدين لا تزال مخيفة للصليبيين وبالذات في الداخل حيث أجرى استحكاماته في بيت المقدس بصورة أفقدت ريتشارد صوابه ، وكان أن انشغل ريتشارد من قبل بسبب عداء كونراد صاحب صور مما صرفه عن المسائل العسكرية ، والأكثر من ذلك أن الملك الإنجليزي أصابه اليأس تماما إزاء إحساسه بعدم قدرته على دخول بيت المقدس وعجزه عن البقاء ورغبته في الرحيل لدرء ثورة كان أخوه حنا قام ضده بها فاضطر إلى مفاوضة صلاح الدين الذي كان حينئذ بحاجة إلى تهدئة الموقف لمعالجة ما كان يدور من نزاع بين عناصر جيشه ، وهكذا مال الطرفان في شعبان ٥٨٨هـ / ١١٩٢م إلى عقد صلح الرملة .

## ٢- صلح الرملة

أرسل ريتشارد قلب الأسد رسالة يطلب فيها الصلح مع صلاح الدين قائلا :-

"قد أهلكنا نحن وانتم والأصلح أن نحقق الدماء ولا ينبغي أن تعتقد أن ذلك ضعفا مني، بل أريد المصلحة.... ثم لا يجوز لك أن تهلك المسلمين كلهم ولا يجوز لي أن اهلك الفرنجة كلهم" فاستشار صلاح الدين الأمراء والقواد فوافقوه على الصلح مع ريتشارد وكتب صلاح الدين إلى ريتشارد قائلا :

"إنك إذا دخلت معنا في هذا الأمر- يعني الصلح- فما جزاء الإحسان إلا الإحسان...." واستمرت المفاوضات بين الطرفين حتى انتهت بتوقيع صلح الرملة.

### ٣- شروط الصلح

وأهم شروطه الآتي :-

١- أن يحتفظ الفرنجة بمنطقة الساحل من عكا إلى يافا

٢- تكون عسقلان بعد تخريبها وما يليها من الجنوب ضمن أملاك صلاح الدين

٣- يسمح للحجاج الصليبيين بزيارة بيت المقدس .

٤- اشترط صلاح الدين دخول الإسماعيلية (الحشاشين) في الصلح

٥- ينعقد الصلح لمدة ثلاثة سنوات وثلاثة شهور .

اشترط صلاح الدين دخول أمراء أنطاكية وطرابلس الصليبيين في الصلح.

قوبل صلح الرملة بالارتياح من الجانبين بعد أن ملوا جميعا تلك الحروب الطويلة التي لم تنته إلى نتيجة حاسمة وبعد أن أصبح الطريق إلى الحجاز مفتوحا أمام المسلمين والطريق إلى بيت المقدس مفتوحا أمام المسيحيين ، ويذكر انه عند إعلان الصلح كان يوما مشهودا عم فيه الفرح والسرور لما نالهم من طول الحرب ، وبهذا الصلح يبدأ عهد جديد من السلم بين المسلمين والإفرنج ثم عاد ريتشارد إلى بلاده .

### ٤- نتائج الحملة الثالثة

مما سبق لنا يتضح أن **الحملة الثالثة لم تحقق الهدف الذي جاءت من أجله وكان أن أبحر ريتشارد قلب الأسد عائدا إلى بلاده بعد شهرين من توقيعه على المعاهدة وما لبث أن توفي صلاح الدين رحمه الله سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ليختفي عن الساحة أهم وأشهر قائدين في عصر الحروب الصليبية**

**كان حصاد الحملة الصليبية الثالثة هزيبا** بالقدر الذي خيب آمال الأوروبيين والفرنجة والمسيحيين المقيمين في المشرق العربي الإسلامي جميعا، وسرعان ما تحولت الآمال الكثيرة التي عقدت على هذه الحملة إلى يأس شديد واتهامات حادة للزعماء الصليبيين، وذلك أن **الفترة التي قضاها الأوروبيين في الإعداد لهذه الحملة ولمدة عامين لم تكن لتقارن بتلك النتائج الهزيلة التي حققتها هذه الحملة.**

وعلى الجانب الإسلامي فقد سار صلاح الدين الأيوبي إلى بيت المقدس بعد عقد صلح الرملة، وأمر بإحكام بنیان أسوارها وأقام المدرسة (الصلاحية) والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ثم رحل إلى دمشق مارا بنابلس وطبرية وصفد وتبنين وبيروت، وفي بيروت زاره بوهيموند صاحب أنطاكية، وتابع صلاح الدين رحلته حتى وصل دمشق فوصلها في ٢٥/شوال/٥٨٨/١١٩٢م بعد طول غيبة استمرت نحو أربع سنوات وأقام بها شهورا للراحة استعدادا لجولة جديفة في مقارعة الصليبيين ودحر الغزاة

#### **٥- وفاة صلاح الدين رحمه الله**

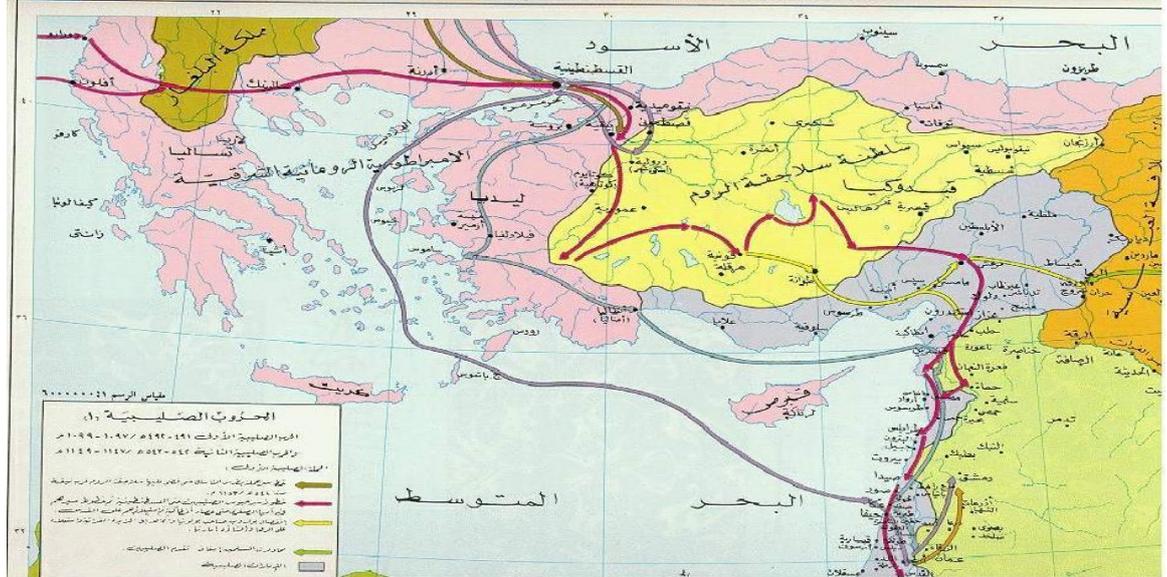
وفي هذه الأثناء **مرض القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وأصيب بالحمى** فمرض لمدة ثمانية أيام في شهر صفر من سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م وتوفي رحمه الله يوم ٢٧ صفر سنة ٥٨٩هـ الموافق ٤ مارس من سنة ١١٩٣م، وكان عمرة عندما توفي سبعة وخمسين عاما

#### **الأحوال بعد وفاة صلاح الدين**

وبوفاة صلاح الدين رحمه الله توارت عن الأنظار شخصية إسلامية ظلت مليء العين والقلب ولها هيبتها من جميع المعاصرين، وقد **أدت وفاته إلى انقسام دولته في الحال.**

**وسبب تقسيم الدولة (مناقشة ٦) التي بذل صلاح الدين جهودا مضنية في توحيدده هو انه لم يكن هناك مبدأ لتوارث العرش، بحيث ينتج عن ذلك استقرار أو تناسق داخلي يشد أركان**

هذه الدولة الشاسعة إلى بعضها، ولم يكن تاريخ الأيوبيين بعد وفاته سوى أحداث ومنازعات ومؤامرات وحروب بين أفراد البيت الأيوبي فكل منهم يطمح في توسيع رقعته على حساب غيره مما جعل الصراع بين المسلمين والصليبيين يأخذ طابعا جديدا، وما حصل عليه الصليبيون بالوسائل الدبلوماسية فاق ما حصلوا عليه بالوسائل العسكرية



## المحاضرة الثامنة

الصليبيون والأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين

الحملة الصليبية الرابعة

عناصر المحاضرة

تمهيد عن أحوال الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين

١- جهود الملك العادل ضد الصليبيين

٢- الحملة الصليبية الرابعة

٣- أحداث الحملة

تمهيد عن أحوال الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين

تقسيم الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين بين إخوته :

\*- الملك العادل سيف الدين أبو بكر اخو صلاح الدين أميرا على الكرك والشوبك وشرق الأردن (مهم)

\*- الملك العزيز سيف الإسلام ظهر الدين طغتكين بن أيوب في اليمن

\*- المنصور ناصر الدين محمد بن الملك تقي الدين على حماة والمعرة ومنبج وقلعة نجم الدين

\*- الملك المجد مجد الدين بهرام شاه ابن توران شاه اخو صلاح الدين في بعلبك

\*- الملك المجاهد أسد الدين شيركوه يتولى حمص والرحبة وتدمر

\*- الملك الظاهر خضر بن صلاح الدين على بصرى

\*- الأمير سابق الدين عثمان يعين على مناطق شيزر وابو قبيس

\*- الأمير ناصر الدين منكورس بن خمارتكين على مناطق صهيون وحصن برزية

\*- الأمير بدر الدين سلدرد بن بهاء الدين ياروق على مناطق تل باشر افاميه

\*- الأمير عز الدين أسامة على مناطق عجلون في الأردن

\*- الأمير عز الدين إبراهيم على مناطق بعيرين وكفر طاب وحصن

ولم تمض سنة بعد وفاة صلاح الدين حتى تعرضت الدولة لحالة من التوتر، ذلك أن أولاده من بعده دخلوا في صراع مرير حول مناطق النفوذ والفوز بالسلطنة مما عاد بالسلب على مسيرتهم الجهادية، وانحصر ذلك النزاع بين ثلاثة من أبنائه وهم بالتحديد الأفضل علي في دمشق، والعزيز عثمان في مصر، والظاهر غازي في حلب.

ومن حسن الحظ أن الصليبيين آنذاك كان يعترئهم حالة من التفرقة والضعف العام بعد رحيل ريتشارد قلب الأسد، وبعد أن أصبح الخلاف بين قبرص و عكا أمرا صعبا، واوجد ذلك كله لدى كل من الأيوبيين والصليبيين رغبة في التهدة الأمر الذي يمكن أن نفسر في ضوئه لجوء العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي إلى تجديد الهدنة مع الصليبيين في عكا باعتبار أن عكا كانت تمثل بالنسبة للغرب الأوروبي حينئذ بديلا يحتل مكانة بيت المقدس الذي حرره المسلمون ومقرا لمملكة بيت المقدس الجديدة، على أن الغرب

الأوروبي أيقن أهمية الوحدة بين الصليبيين وضرورة الأخذ بها في وقت كان بنو أيوب يتنازعون ،والى أن حان الوقت لتحقيق هذه الوحدة من جانب الغرب **كان أبناء صلاح الدين المتنازعون يأملون من جانبهم أن يجنح العادل لرأب الصدع بينهم حفاظا على وحدة البيت الأيوبي .**

ولئن أقبل الملك العادل على ذلك ليحقق ما يمهده به ليتولى زعامة هذا البيت خلفا لصلاح الدين إلا انه قد سلك سياسة في هذا السبيل عادت بالنفع على البيت الأيوبي في ميدان الجهاد ضد الصليبيين ،ومن ذلك أن تدخل العادل بين الأخوة الفرقاء من أبناء صلاح الدين كان من شأنه أن اوجد في القليل فرصا للتهدة صرفته وبعض ابناء صلاح الدين لمواجهة حملات وتجريدات صليبية قدمت من الغرب .

ونذكر في هذا السياق أن بعض الصليبيين الألمان وفدوا على بلاد الشام سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م فلقبهم الملك العادل وهزمهم قرب غزة ،ولما توجهوا صوب بيت المقدس أرسل العادل في نجدة ابن أخيه السلطان العزيز عثمان ولبي هذا الأخير نداء عمه في وقت أبدى فيه الأمراء الأيوبيين رغبتهم في المشاركة في هزيمة الألمان وفاز الجميع بالمراد وأوقعوا بالعدو سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م ولا يخفى علينا أثر النزاع بين القوى الصليبية الذي أدى بطبيعة الحال الى فشل هذه الوفود الألمانية في تحقيق مآربها بدليل أنهم لم يتلقوا دعما ملموسا من ملك الصليبيين في عكا .

### الملك العادل والصليبيين :

استولى العادل أثناء صدامه مع الألمان على يافا ،وهزم الصليبيين في عكا وأخرجهم منها حيث تأثروا تأثرا كبيرا بوفاة ملكهم ووضعوا آمالا عريضة **بخليفته عموري الثاني لوزجنان** الذي بات في نظرهم حاميه الأول ولكن هذا الأخير **آثر التهدة أمام صمود العادل الأيوبي ،**وبتأثير ذلك كله مال الطرفان إلى الصلح في شعبان من سنة ٥٩٤هـ/١١٨٩م، ووجد العادل في هذا الصلح فرصة لإعادة توحيد جبهة المسلمين التي سرعان ما انفرط عقدها بعد وفاة صلاح الدين كما اشرنا إلى ذلك آنفا.

خاض **العادل** مرحلة استغرقت شهورا **حقق** في نهايتها مراده بتوحيد مصر وبيت المقدس ودمشق وصار سلطانا على البلاد وزعيما على كافة نواحيها .على أن معاهدة الصلح التي وقعت بين الجانبين قد صادفها الانهيار إثر تمكن احد أمراء المسلمين من أسر سفينتين

صليبيين من سفن قبرص قرب صيدا ووجد عموري الثاني في هذا الحادث فرصة لبث الغارات على الأراضي القريبة من عكا ، وأوغل بعساكره عبر الطريق بين عكا وطبرية وبينما هو على تلك الحال جاءت الأخبار بانحراف الحملة الصليبية المتوقعة الى القسطنطينية وهي الحملة الرابعة التي كان ينتظرها لتدعم موقف الصليبيين في بلاد الشام ، فكان من الطبيعي أن يطلب الصليبيين الصلح في عكا كما كان الملك العادل بحاجة إلى الصلح خشية أن تتعرض مصر لهجوم صليبي من القسطنطينية فعقد صلحا بين الطرفين

### الصلح بين الملك العادل والصليبيين :

عقد الصلح سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م وبمقتضى ذلك الصلح تنازل الملك العادل بسبب سياسة التسامح عن المناصفت في صيدا والرملة واللد وأعطاهم مدينة الناصرة وغيرها كما كان عليه أن يتنازل عن يافا فضلا عما قدمه من تسهيلات للحجاج الأوروبيين مقابل استمرارية المعاهدة لمدة ستة سنوات ، غير أن الملك العادل وبتشجيع من المسلمين عاد وهاجم بعض الحصون الصليبية كحصن الأكراد سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م وأسرعدها من الإسبتارية الصليبيين ردا على مهاجمتهم لمدينة حمص .

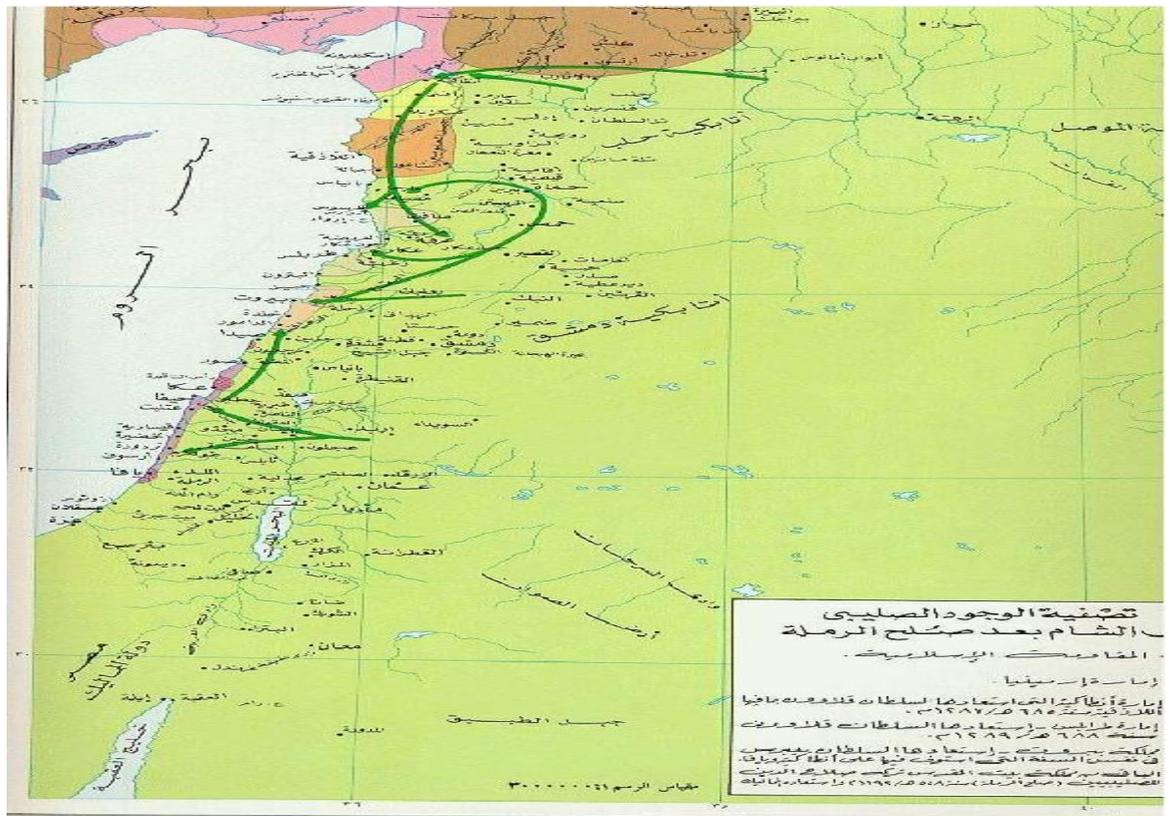
### الحملة الصليبية الرابعة :-

لم تتمكن الحملة الصليبية الثالثة من تحقيق أهدافها ، فقرر الأوروبيون القيام بحملة جديدة لاحتلال مصر على طريق احتلال بيت المقدس وقد تشجعت البندقية للمشاركة بهذه الحملة سعيا وراء مطاعم ومطامح اقتصادية بحتة .

### أحداث الحملة :-

رأى قادة الحملة الصليبية التوجه إلى الشام مباشرة للاستيلاء على بيت المقدس من أيدي المسلمين وتحقيق ما عجزت الحملة الثالثة عن تحقيقه وتحمس هؤلاء القادة للإبحار مباشرة إلى عكا ، إلا أن فريقا آخر من القادة رأى انه من الأفضل توجيه الهجوم إلى مصر مباشرة باعتبارها مركز القوى الرئيس للمسلمين والتي أمدت صلاح الدين بالجند والمؤن لمحاربة الصليبيين ، فإذا فرغوا من مصر فإن ذلك يسهل عليهم احتلال بيت المقدس وتأمين الجبهة الجنوبية لفلسطين .

كان على الصليبيين أن يدبروا أمر نقل الجنود الى مصر واتفق زعماء الحملة مع **البندقية** و**دوقها هنري دانولديو** (هام) وعقدوا معه صلحا يقضي بنقلهم إلى الشواطئ المصرية على أن يدفعوا له مبلغ خمسة وثمانون ألف مارك مقابل ذلك واخذ جنود الحملة يحتشدون في البندقية سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، ولم تكن البندقية تهتم سوى بمصالحها الاقتصادية والمادية مع علمها بعجز قادة الحملة عن دفع المبلغ المتفق عليه ولهذا حاول **دوق البندقية** أن يستغل عدم قدرة الصليبيين على دفع المبلغ المتفق عليه فاقترح عليهم أن يقوموا بمساعدته في الهجوم على مدينة زارا الخارجة عليه وكانت تابعة له من قبل ثم انتزعها ملك هنجاريا، وإذا تم ذلك فإنه سوف يعفيهم من رسوم النقل على السفن .



\*\*\*\*\*

## المحاضرة التاسعة

عنوان المحاضرة

## تابع الحملة الصليبية الرابعة والحملة الصليبية الخامسة

عناصر المحاضرة

تابع الحملة الرابعة

دوافع ملك البندقية داندولوا إلى ذلك

موقف البابوية من مجريات الحملة

نتائج الحملة

الحملة الصليبية الخامسة

شروط صلح دمياط بين الصليبيين والأيوبيين

## نتيجة الحملة الصليبية الخامسة

أدى الصراع بين أبناء البيت الحاكم في القسطنطينية إلى الإطاحة بالإمبراطور إسحاق الثاني الذي استعان بالبابوية ووعدهم بأنه لو استرد عرشه فسوف يخضع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية لسلطة البابوية (الكاثوليكية).

ومن ناحية أخرى طلب مساعدة الصليبيين على أن يساعدهم في حملتهم على مصر إذا نجحوا في إعادته إلى العرش بأن يدفع إليهم مائتي ألف مارك ويمول أسطولهم لمدة عام على نفقته

دوافع ملك البندقية داندولوا إلى ذلك :

١- المنافسة التجارية الكبيرة بين البندقية والقسطنطينية

٢- خوف دوق البندقية (دونالدو) على مصالحه التجارية لو اتجه الصليبيون إلى مصر

٣- سياسة الملك العادل الحكيمة في تحويل مسار الحملة من مصر إلى القسطنطينية حيث أرسل إلى دوق البندقية سفارة محملة بالهدايا لإبعاد الحملة عن مصر.

٤- عقد الملك العادل(سرا) صلحا مع البندقية منحهم فيها امتيازات تجارية في مصر مقابل تعهد البندقية بمنع أي حملة من الوصول إلى مصر

وفعلا قام دوق البندقية بتحويل الحملة إلى زارا في القسطنطينية بحجة توفير المؤن للجيش الصليبي، وفي هذه الأثناء حدث صراع داخل البيت البيزنطي فوعد الملك البيزنطي القوات الصليبية، بأنه سوف يرافقهم على رأس قوات مكونة من نحو عشرة آلاف رجل وينفق عليهم من ماله الخاص كما وعد البنادقة بدفع مبالغ كثيرة لهم مقابل إعادته للحكم ..

### موقف البابوية من مجريات الحملة

قرر البنادقة والصليبيون غزو القسطنطينية، وكان يحرك البنادقة دوافع اقتصادية بحتة، ذلك أن جنوا وهي المدينة الإيطالية التي تنافس البندقية تجاريا قد حصلت على امتيازات تجارية في القسطنطينية وحرم هذا البندقية من سوق كبير لها في القسطنطينية، ولما وصل البنادقة والصليبيون إلى القسطنطينية قضاوا على الدولة البيزنطية وأقاموا دولة لاتينية فاندلعت المواجهة بين السكان البيزنطيين من جهة والصليبيين والبنادقة الغزاة من جهة أخرى، فاقتحم الصليبيون والبنادقة المدينة فقاموا بمجازر بحق أهل المدينة فقتلوا النساء والأطفال وكبار السن وارتكبوا مذبحه مروعة استمرت ثلاثة أيام ونهبوا كنوز وتحف المدينة، وحكم الصليبيون القسطنطينية نصف قرن حتى أعاد ميخائيل الثامن حكم الدولة البيزنطية في المدينة سنة ١٢٦٠هـ/١٢٦١م

### نتائج الحملة الرابعة :-

١- تبين جليا أن الهدف الديني من الحروب الصليبية كان كذبا وان المحرك الرئيس لهذه الحروب كان اقتصاديا بحتا

٢- بدأ كثير من الصليبيين الرحيل من بلاد الشام إلى القسطنطينية التي أصبحت تحت حكم الصليبيين لمدة نصف قرن بسبب توفر الأمن فيها أكثر من بلاد الشام

٣- زادت الحملة الصليبية الرابعة العداء بين الصليبيين الغربيين ونصارى الشرق فزادت الكراهية بين أتباع الكنيستين الشرقية والغربية (ارثوذكس، كاثوليك)

٤- ترتب على الحملة الرابعة حرمان الصليبيين في الشام من مساعدة إخوانهم اللاتين والبيزنطيين مما اضعف موقفهم في الشام

### الحملة الصليبية الخامسة :-

كان الصليبيون في السنة الأخيرة من حكم العادل سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م قد وصلوا بحملتهم الخامسة إلى عكا بعد فترة إعداد شابتها الفوضى والملابسات ،وقد حاول العادل مجابهة هذه الحملة الجديدة التي كانت بمثابة المفاجأة التي لم يكن العادل مستعدا لها تماما فقد كان جنوده موزعين في أنحاء البلاد ،فلجأ إلى المراوغة ومحاولة تلافي المجابهة مع قوات الصليبيين الكبيرة ،إلا أنهم اضطروه إلى خوض معركة في بيسان خسرها الملك العادل واحتل الصليبيون المدينة ونهبوها ونهبوا المناطق المجاورة .

إثر ذلك حاول الملك العادل حشد قواته وتعبئتها بمساعدة أبنائه ،وبحلول سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م تحركت القوات الصليبية من عكا إلى دمياط في مصر ونزلوا حولها فتصدى لهم هناك الملك الكامل الأيوبي محمد بن العادل وقاتلهم عدة أشهر بجدارة مستخدما الكثير من الوسائل الذكية في منعهم من أخذ المدينة أو التوغل داخل مصر ،وقد حاول العادل اللحاق بابنه بجيش شامي ولكن الوفاة عاجلته

ونتيجة لذلك والمؤامرات ضد الملك الكامل في مصر شغلته عن قتال الصليبيين ،فتمكن الصليبيون من احتلال دمياط إلا أن الكامل عاد ثانية لترتيب صفوفه ولحق به أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق لمعاونته وكذلك قدم أخوه الآخر الملك الأشرف صاحب الجهات الشرقية من الدولة ومعه قوات من حلب وحماة وبعلك وحمص .

والتي (دمياط)سميت فيما بعد باسم المنصورة ونتيجة لمقاومة الأيوبيين المستميتة وشجاعتهم فقد أحبطوا محاولة الإفرنج التوغل في مصر واضطروهم إلى قبول الصلح سنة ٦١٥هـ/١٢٢١م

ووقف الجميع إلى جانب الملك الكامل في المدينة الجديدة التي بناها(المنصورة) كمعسكر له لمواجهة الصليبيين في دمياط

## شروط صلح دمياط بين الصليبيين والأيوبيين :

١- أن يسلم الفرنجة دمياط للمسلمين دون مقابل

٢- مدة الهدنة بين الطرفين ثماني سنوات

٣- إطلاق سراح الأسرى بين الطرفين

٤- أن يقدم المسلمون لملوك الفرنجة الصليبيين رهائن من قادتهم إلى أن يتم الجلاء عن دمياط ويقدم الفرنجة الصليبيين رهائن للمسلمين وعدتهم عشرين قائدا منهم الملك حنا دي برين ملك عكا ونائب البابا بيلاجيوس ، **وقدم الملك الكامل ابنه الصالح نجم الدين أيوب وكان عمره خمسة عشر سنة ومعه جماعة من خواصه لتنفيذ الاتفاق .**

لم يضيع الصليبيون الوقت وسلموا دمياط للمسلمين وذلك في رجب من العام ٦١٨هـ/١٢٢١م وعادت المدينة إلى الملك الكامل ، وأبحرت السفن الصليبية إلى أوروبا .

الحملة الصليبية

هنا خريطة

## نتيجة الحملة الصليبية الخامسة

انتهت الحملة الصليبية الخامسة بالفشل الذريع بسبب صمود الملك العادل في مصر ومساعدة إخوته الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام له ، وعاد الملوك الصليبيين إلى أوروبا من حيث أتوا ورحل الملك الصليبي حنا دي برين إلى سواحل الشام . وفي هذه الآونة بدأ خطر المغول بالظهور على المسرح فاجتاحوا الدولة الخوارزمية سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م والتي كانت

تشكل سدا منيعا لمشرق العالم الإسلامي ضد المغول الوثنيين .

## المحاضرة العاشرة

عنوان المحاضرة

الحملة الصليبية السادسة

عناصر المحاضرة

تمهيد

الحملة الصليبية السادسة

أسباب الحملة الصليبية السادسة

أحداث الحملة

شروط معاهدة يافا ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م

انتهت الحملة الصليبية الخامسة على مصر بالفشل مما جعل الأنظار تتجه من جديد نحو البابوية والغرب الأوروبي لإرسال حملة صليبية قوية تسند الصليبيين في الشام وتمكنهم من الصمود ولو إلى حين في وجه الأيوبيين في مصر والشام، وإذا كانت الحملات السابقة قد حركتها روح الكراهية والعداء للمسلمين والرغبة في الانتقام، فإن الحملة الصليبية السادسة خلت تماما من هذه الروح، فبدأت وكأنها زيارة ودية قام بها الإمبراطور الألماني لصديقه في الشرق إذ لم تعتمد هذه الحملة على قوة حربية كبيرة من الجنود الفرسان.

## أسباب الحملة الصليبية السادسة : ( الأسباب الخاصة بالصليبيين )

\*ساعات العلاقة بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبين أخويه الملك الكامل محمد والملك الأشرف موسى مما جعل المعظم يستعين بالسلطان جلال الدين الخوارزمي على أخويه وهذا أصبح خطرا يهدد الكيان الأيوبي

\*ارتاع الملك الكامل من هذا الاتفاق ولم يجد وسيلة يرد بها على هذا التحالف إلا أن يطلب المعونة من جهة خارجية، فاستقر رأيه على الاتصال بالإمبراطور فريديريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة الذي عرف بميله وتعاونيه مع المسلمين وعلاقته الودية مع الملك الكامل

\* ومن الأسباب أيضا أن فريديريك كان قد نذر إجابة لطلب البابا القيام بحملة صليبية إلى الشرق مما جعل البابا يلح عليه على الوفاء بوعدته

\*أن فريديريك كان قد تزوج من إيزابيلا بنت الملك حنا دي برين وريثة المملكة الصليبية الرمزية، ولما توفيت إيزابيلا ظل فريديريك يطالب بمملكة بيت المقدس إرثا لزوجته، ولذا بدأ يفكر جيدا في الخروج على رأس حملة إلى الشرق .

\*أن البابا جريجوري التاسع اصدر قرارا بحرمان فريديريك من رحمة الكنيسة ودخول الجنة مما جعله يقوم بهذه الحملة ارضاء للكنيسة وحتى يظهر في صورة المدافع عن الكنيسة وكي يغفر له البابا ذنوبه وخطاياها ويعيده إلى رحمته

**ما هو سبب طلب الكامل العون والمساعدة من فريديريك ؟ ( الأسباب الخاصة بالأيوبيين )**

- خشي الملك الكامل من تحرك الصليبيين بحملة جديدة ضد مصر، فأراد أن يجنب نفسه هذا الخطر فكتب الإمبراطور فريديريك فرد عليه معاهدا متبادلا الهدايا .

- أراد الكامل أن يحمي مصر ويتفرغ لأخيه المعظم عيسى حتى يعزله عن دمشق ويضم الشام إلى سلطانه .

- كان الكامل يريد أن يكون له السلطان المطلق في الدولة الأيوبية كما كان من قبل لأبيه العادل وعمه صلاح الدين ، وأن يكون بقية الأمراء تحت سلطانه ويخطب على منابر بلادهم باسمه .

### أحداث الحملة :

أخذ فريدريك يماطل في القيام بالحملة نحو الشرق العربي الإسلامي وذلك للأسباب التالية :

\* عدم توفر الحافز الذي يدفعه إلى تلك الخطوة ، والدخول في حرب ضد المسلمين

\* علاقته الودية مع الملك الكامل وتوافقهما في الميول والطباع والاتجاهات وبسبب

الهجوم العنيف من البابا على فريدريك اضطر الأخير إلى الخروج إلى الشرق حتى يفوت على البابا فرصة التشهير به من ناحية ولكي يخفف حدة النزاع بينهما من ناحية أخرى

ويذكر أن القوة التي صاحبت فريدريك تكونت بصفة أساسية من نحو ستمائة فارس وعشرين سفينة وكان قد سبقه فرقتان من اللاتين إلى عكا كانت الظروف في بلاد الشام قد تبدلت ، حيث توفي الملك المعظم عيسى في دمشق سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٧٠ م واقتسم الأخوان أملاكه في البيت الأيوبي حتى أحس بحرج موقفه ، ولا سيما انه جاء على رأس قوة صغيرة لا تكفي الدخول في حرب ، بالإضافة إلى انه خرج من بلاده محروما من رحمة الكنيسة ، وأدرك تماما انه لا يصلح موقفه سوى استعادة بيت المقدس ورغم ذلك كانت البابوية لا تريد نجاح فريدريك في تحقيق هدفه لأن ذلك يعد منحه شرفا ونصرا في الحروب ضدها ، وحرضت الكامل على عدم تسليم بيت المقدس للإمبراطور فريدريك ولما أحس الأخير بذلك لجأ إلى كل السبل لإجراء المفاوضات مع الكامل ليتخلص من ذلك الموقف ، وأقنع الكامل بأنه ليس له غرض في القدس ولا غيرها ، وان هدفه هو حفظ مكانته عند الفرنجة وحفظ عرشه من كيد البابوية

رفض الملك الكامل تسليم بيت المقدس متذعرا بأن ذلك سوف يؤدي مشاعر المسلمين في كل مكان ويؤدي إلى معارضة شديدة لسياسته ، ولهذا تعثرت المفاوضات وشغل فريدريك نفسه بتحسين مدينة يافا ، ولما طالّت المفاوضات أصدر البابا قرار الحرمان مرة ثانية ضد فريدريك عندئذ لجأ فريدريك إلى استعطاف الكامل ليمنحه بيت المقدس فيعجل عودته إلى بلاده بعد أن ساءت أحوالها

ونتيجة لتأثر الكامل باستعطاف فريديريك وهو الرجل الذي اشتهر بتسامحه مع الصليبيين وعلاقات المودة التي يرتبط بها مع فريديريك وافق الكامل على عقد اتفاقية مع هذا الإمبراطور عرفت بمعاهدة يافا سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م .

شروط معاهدة يافا ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م:

- ١- أن تسلم مدينة القدس الشريف إلى فريديريك بشرط أن يبقيا على حالتها بدون تعمير ولا يجدد أسوارها وأن يكون المسجد الأقصى وقبة الصخرة بيد المسلمين ، ولا يدخلها الفرنجة إلا للزيارة
- ٢- أن يأخذ الفرنجة جميع القرى الواقعة على الطريق من يافا إلى القدس وهي " بيت لحم ،الناصره ،تبنين ،صيدا ،اللد ،الجليل "
- ٣- أن يطلق سراح الأسرى من كلا الجانبين .
- ٤- أن يتعهد فريديريك بمحاربة الملك الكامل ضد اعدائه جميعهم مسلمين ومسيحيين .
- ٥- أن يضمن فريديريك عدم وصول إمدادات صليبية إلى إمارتي أنطاكية وطرابلس
- ٦- أن يمنع الإمبراطور فريديريك وصول أي حملة صليبية جديدة الى شواطئ مصر أو الشام
- ٧- أن يستمر العمل بهذه المعاهدة لمدة عشرة سنوات .

وكان أغرب ما في هذه المعاهدة هو تنازل المسلمين عن بيت المقدس للصليبيين وهكذا حققت الحملة الصليبية السادسة ما لم تستطع الحملات الصليبية الضخمة أيام صلاح الدين تحقيقه ، وذلك على الرغم من طابعها السلمي

ما هو رد فعل المسلمين والصليبيين على معاهدة يافا؟

- ١- ثار الفرنجة على فريديريك لأنهم كانوا لا يرغبون في مسالمة المسلمين ، كما أنهم حزنوا لأن بيت المقدس لم يتم استرداده بالقوة والسلاح
- ٢- زاد غضبهم لاحتفاظ المسلمين بأماكنهم المقدسة وبتأديتهم شعائرهم الدينية في المسجد الأقصى .

٣- أعلنوا انه لا قيمة لاسترداد بيت المقدس دون استرداد الحصون القوية في الكرك والأردن .

٤- غضب فرسان الداوية لبقاء المعبد بيد المسلمين ، وصرحوا أنهم مع فرسان الأستبارية ولن يتعاونوا مع فريدريك عدو البابا ، ولذا لم يطلب احد من الصليبيين رفع قرار الحرمان عن الإمبراطور برغم ما حققه لهم من مكاسب . (قوى عسكرية لاتينية ذات طابع ديني)

٥- أما العالم الإسلامي فقد رأى في اتفاقية حيف كارثة حقيقة على الإسلام والمسلمين

٦- امتلأت مساجد بغداد والقاهرة ودمشق والكرك والأردن وغيرها بالخطباء الناقلين على السلطان الكامل المتخاذل الذي ضحى بالقدس في سبيل مصلحته الشخصية ، واتهموه بالخيانة

٧- أعلن الملك الناصر داوود صاحب دمشق الحداد ، واشتد البكاء على القدس وكثر العويل وأقيمت المآتم .

ومن الجدير ذكره وللحقيقة والإنصاف والتاريخ أن المصادر التاريخية تذكر أن الإمبراطور فريدريك عندما أراد زيارة بيت المقدس بعد معاهدة يافا استأذن الملك الكامل فأذن له ، وكان فريدريك يقول لأتباعه :- "إنما نحن عبيد وممالكك السلطان الكامل وإنما تصدق على وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الإنعام منه ولا يتعدى احد منكم طوره"

وبعد تسع سنوات من هذه المعاهدة توفي الملك الكامل في دمشق سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م عن عمر يناهز ستين سنة ودفن بدمشق وبموته انفرط عقد الدولة الأيوبية للمرة الثالثة وعاد الأمراء يتصارعون ويتآمرون على بعضهم البعض حتى تمكن الملك الناصر داوود ملك الكرك الأيوبي في جنوب الأردن من تحرير بيت المقدس واستردادها من الصليبيين .

وبعد ذلك تمكن الملك الصالح نجم الدين أيوب من إعادة الوحدة السياسية إلى السلطنة الأيوبية في مصر والشام ، ولكنه كان عليه أن يتفرغ لمواجهة الخطر الآخر الذي أصبح يهدد مصر ذاتها والمتمثل في الحملة الصليبية السابعة .

## المحاضرة الحادية عشرة

عناصر المحاضرة

الملك الصالح نجم الدين أيوب والصليبيين

الحملة الصليبية السابعة "حملة لويس التاسع على مصر"

الاستعداد للحملة

خط سير الحملة

قدوم تورانشاه

المحاضرة الحادية عشرة

عنوان المحاضرة

الحملة الصليبية السابعة

الملك الصالح نجم الدين أيوب والصليبيين :

بدأ الملك الصالح يعمل على إعادة توحيد الأيوبيين الذين انفرط عقد دولتهم كما بينا بعد وفاة الملك الكامل، وجدير الذكر ان الأمراء الأيوبيين بدؤوا يستعينون بالصليبيين ضد بعضهم البعض، وبعد جهود مضنية تمكن الملك الصالح من هزيمة تحالف صليبي مع بعض أمراء البيت الأيوبي في معركة شهيرة عرفت باسم معركة غزة سنة ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ، وكان من أهم نتائجها أن تمكن الملك الصالح من ضم بيت المقدس ونواحي الشام وفلسطين إلى دولته في الديار المصرية "توحيد مصر والشام تحت حكمه"، وبدا يستعد إلى مواجهة الخطر القادم والمتمثل في الحملة الصليبية السابعة.

الحملة الصليبية السابعة

"حملة لويس التاسع على مصر"

كان لاسترداد القدس وضمها إلى أملاك الصالح نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ، وتصفيته لقواعد الفرنجة الصليبيين في السواحل صدى قوي في أوروبا يشبه صدى استردادها في المرة الأولى على يد صلاح الدين الأيوبي، فبدأت الدعوة من جديد لحملة صليبية كبرى على مصر لاسترجاعها، وكان أكبر المتحمسين لها لويس التاسع القديس ملك فرنسا وقد حاول لويس في إطار إعداده للحملة إزالة الخلاف بين البابا والإمبراطور فريديريك الثاني سالف الذكر ولكنه لم ينجح في مساعيه حتى أن البابا قرر في مجمع ليون الكنسي الذي تقرر فيه إرسال الحملة الصليبية السابعة أن يرسل حملة صليبية أخرى ضد فريديريك الثاني باعتباره خارجا عن الكنيسة. فادى ذلك إلى توثيق العلاقة بين فريديريك والملك الصالح نجم الدين أيوب فأرسل فريديريك رسالة إلى الملك الصالح يخبره

عن تحرك الحملة الصليبية هذه إلى مصر ، ولم يكن هدف هذه الحملة استرجاع القدس وحسب وإنما تكوين تحالف مسيحي وثني مع المغول الذين بدؤوا يظهرن على مسرح الأحداث في المشرق العربي الإسلامي ، وهدف الصليبيون من خلال هذا الحلف وضع المسلمين بين شقي رحى بغية القضاء على الإسلام كما توهموا خاسنين ونشر النصرانية في المنطقة العربية الإسلامية .

الاستعداد للحملة :

استغرق إعداد لويس للحملة مدة ثلاث سنوات في باريس حيث خطب في الناس ودعاهم إلى حمل الصليب ، وطلب من دوقيات جنوا ومرسليا تأجير السفن لنقل المقاتلين الصليبيين إلى مصر والشام ، في حين رفضت البندقية تزويده بالسفن خوفا على مصالحها التجارية في مصر والشام ، وبدأ لويس يجهز جزيرة قبرص ويشحنها بالطعام والمقاتلين لتكون منطلقا لحملة السابعة .

وأخيرا رحل لويس التاسع في سنة ١٢٤٦هـ / ١٢٤٨م وأبحر من ميناء مرسيليا على رأس أسطول ضخم يضم ١٨٠٠ سفينة محملة بثمانية آلاف مقاتل معهم العدة والخيول ويشاركه في قيادة الحملة زوجته مرجريت وإخوته شارل كونت أنجو وروبرت كونت ارتوا .

خط سير الحملة :

بدأت الحملة سيرها من باريس إلى ميناء أيجور جنوب فرنسا ومر لويس في الطريق بمدينة ليون حيث كان يقيم البابا انو سنت الرابع ومنحه البابا صك غفران لجميع ذنوبه وتذكرة الدخول إلى الجنة ، ثم غادر لويس فرحا سعيدا وقد غفرت ذنوبه وحمل معه صك الغفران واتجه بحرا إلى جزيرة قبرص فوصل ميناء ليماسول فنزل بضيافة هنري الأول لوزنيان ملك قبرص .

عقد لويس مجلسا لكبار قاداته فاتفق الحاضرون على أن مصر هي الجديرة بالهجوم ، وان الاستيلاء عليها هو الكفيل بحل المسألة الصليبية على خير ما يتمنى العالم الصليبي الغربي ، وان الاستيلاء على دمياط مهمة لمحو العار الذي لحق بالصليبيين بالجلاء عنها زمن الملك حنا دي برين .

فوصل ميناء ليماسول فنزل بضيافة هنري الأول لوزنيان ملك قبرص .

عقد لويس مجلسا لكبار قاداته فاتفق الحاضرون على أن مصر هي الجديرة بالهجوم ،وان الاستيلاء عليها هو الكفيل بحل المسألة الصليبية على خير ما يتمنى العالم الصليبي الغربي ،وان الاستيلاء على دمياط مهمة لمحو العار الذي لحق بالصليبيين بالجلاء عنها زمن الملك حنا دي برين .

ودمياط لها مكانتها التجارية والاقتصادية ،وأثناء إبحار الحملة واجهتها رياح عاتية وأعاصير فاضطرت نحو سبعمائة سفينة للجنوح إلى سواحل عكا في فلسطين المحتلة ،ولم يصل مع لويس سوى ثلث عدد قواته ،ولكن للباغي مصرع وبغيه يصرعه " ،ورغم مرض الملك الصالح غير انه تحرك على رأس جيشه من الشام التي كان يقيم بها في هذه الآونة حتى وصل مصر ولما اشتد المرض على الملك الصالح طلب من قاداته أن يعسكروا في دمياط استعدادا لمواجهة الصليبيين وقاد الجيوش الإسلامية القائد فخر الدين بن شيخ الشيوخ الذي ارتكب فعلة شنعاء وسوء تقدير بسحب الجيش المسلم من دمياط والتراجع إلى الجانب الشرقي للنيل فدخل لويس وجيشه دمياط دون مقاومة ،فقام لويس بإضفاء الطابع المسيحي على المدينة فحول مسجدها إلى كنيسة

استفاق المسلمون مما حل بهم في دمياط وبدأت عمليات المقاومة ضد الغزو الصليبي ولم يمر يوم واحد إلا ويقتل ويؤسر فيه أعداد كبيرة من الصليبيين في دمياط ،فشعر لويس بخطر الموقف فبدأ يستعد للزحف إلى القاهرة رغم أن بعض قاداته رأوا الذهاب إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة ،

وفي هذه الأوقات العصيبة حيث يحتل الصليبيون دمياط ويزحفوا باتجاه القاهرة توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب فخلفه ابنه الملك المعظم توران شاه وهو شاب حديث السن قليل الخبرة ،بيد أن الملك الصالح كان قد رتب أمور الحكم مع زوجته شجرة الدر وهو على فراش الموت ،وقد اخفت زوجته نبأ وفاته ومنعت زيارته بحجة أن الأطباء طلبوا ذلك ،وانتظرت حتى يعود تورانشاه من ولايته في حصن حيفا ، (مناقشة ١١)

ورغم كتم خبر وفاته غير أن أخبار الوفاة وصلت إلى الفرنسيين الذين يتوغلون في الأراضي المصرية دون أن يجدوا أي مقاومة غير المستنقعات المحيطة بالنيل ،حتى وصل الصليبيون إلى مدينة المنصورة وقد حصنها المسلمون فقرر لويس اجتياح المنصورة وفي هذه الأثناء تعرضت مدينة المنصورة إلى الخيانة من أهلها حيث دل ادهم الصليبيين على

مخاضه سلمون "طريق مائي" يوصل إلى المدينة الحصينة وفعلا نجح الصليبيون بمهاجمة معسكر المسلمين المرابط فجأة وجرح قائد الجيش فخر الدين بن شيخ الشيوخ واستولى الصليبيون على معسكر المسلمين في قرية جديدة فقرر الكونت آرتو اقتحام المنصورة، وكان القائد بيبرس البندقداري الذي صار سلطانا فيما بعد قد افسد خطة الفرنسيين بكفائه الحربية فانسحب أمام الصليبيين الفرنسيين انسحابا تكتيكيا وعاد وأطبق عليهم وزلزل صفوفهم فانقشع غبار المعركة عن عدد كبير من قتلى الصليبيين فقتل من فرسانهم نحو ألف وخمسمائة وقضى المماليك على فرقة الفرسان بأكملها وكان ارتو في مقدمة القتلى .

#### قدوم تورانشاه :

بعد هذه المعركة بأيام قدم الملك المعظم تورانشاه بن الصالح نجم الدين أيوب إلى مصر سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠هـ ونزل في الصالحية ثم رحل منها إلى المنصورة فلقية الجند والقادة وأعلن وفاة أبيه الملك الصالح نجم الدين فتولى زمام الأمور بنفسه وقاد الجند وهاجم الصليبيين فساء حالهم فطلب منه لويس التاسع الهدنة والصلح وتسليمه دمياط ولكنه رفض والتحم مع الصليبيين في معركة عنيفة اسمها معركة فارسكو انتهت بكارثة كبيرة على الصليبيين حيث أביد الجيش الصليبي عن بكرة أبيه وغنم المسلمين منهم الخيل والبغال والغنائم وما لا يحصى ولا يعد من الأموال .

## المحاضرة الثانية عشر

تابع الحملة السابعة والحملة الصليبية المتأخرة على المغرب "تونس"

عناصر المحاضرة

تابع الحملة الصليبية السادسة .

مصير لويس التاسع

معاهدة توران شاه الأيوبي مع لويس التاسع الفرنسي

الحملة الصليبية الثامنة

مصير لويس التاسع : (الاخضر تحت هام جدا)

هرب لويس التاسع من ارض المعركة تاركا جيشه يلقي حتفه حتى وصل قرية "منية أبي عبد الله" وتم اسر لويس التاسع نفسه في هذه القرية وحمل إلى المنصورة مقيدا بقيد من حديد وحبس بدار القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان ومعه أخوه شارل كونت أنجلو والفونسو كونت بواتيه وقد أحسن إليهم تورانشاه وخصص لهم من يقوم بخدمتهم ، بقي لويس في الأسر فقرر أن يفتدي نفسه بدفع مبلغا من المال في سبيل إطلاق سراحه مع أخويه، وعقدت معاهدة بين الطرفين معاهدة تورانشاه الأيوبي ولويس التاسع الفرنسي تم عقد معاهدة الصلح بين الطرفين لمدة عشرة سنوات وفقا للشروط التالية:

١- أن يسلم الملك الفرنسي الصليبي لويس التاسع مدينة دمياط فدية لنفسه مبديا أن مقامه لا يفتدى بمال .

٢- أن يدفع الملك لويس التاسع مبلغا من المال ثمانمائة ألف بيزنط "وهي عمله ذهبية بيزنطيه" فدية عن باقي الفرنسيين الأسرى عوضا عن خسائر الأيوبيين بسبب الحملة الصليبية .

٣- أن يطلق سراح جميع الأسرى المسلمين الذين تم أسرهم خلال هذه المعركة ، وكذلك الأسرى المسلمين منذ الحروب في عهد الملك العادل والكامل والصالح أيوب وكان عددهم يربو على عشرة آلاف أسير مسلم .

٤- أن يعمل الصليبيون على حفظ الأمن وإقرار السلام في جميع البلاد التي يحتلونها في فلسطين .

٥- أن يتعهد السلطان الأيوبي بإطلاق سراح الأسرى الصليبيين من الفرنسيين في مصر .

٦- إطلاق سراح الأسرى الصليبيين الذين أسرهم المسلمين منذ معاهدة يافا سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م

٧- أن يتعهد السلطان بحراسة جميع عتاد الفرنسيين وأثقالهم الموجودة بدمياط بعد رحيلهم عنها إلى أن تسنح الفرصة لنقلها إلى بلاد الفرنجة .

٨- أن يمنح المرضى الصليبيين في دمياط الأمان وبيع ممتلكاتهم والرحيل متى شاءوا برا أو بحرا بدون عراقيل

هذا وقد اقسم الطرفان بالمحافظة على الهدنة وعدم الإخلال بها ، هذا وقد فشلت الحملة الصليبية السابعة ، وكان للمماليك البحرية فضل كبير في هزيمتهم وبرز قادة كبار منهم مثل عز الدين أيبك وبيبرس البندقداري خلال المعارك التي اظهروا فيها شجاعة وقدرة عسكرية فائقة .

### الحملة الصليبية الثامنة

بادر الصليبيون بعد هزيمتهم النكراء في الحملة السابعة الى القيام بحملة صليبية جديدة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الذي توجه هذه المرة الى تونس بغية اجبارها على اعتناق المسيحية ولكنه ما لبث ان اصيب لويس بسهم من احد الأعراب في ارض المعركة وهو الأرجح وفي رواية اخرى تقول انه مرض مرضا شديدا حيث اصيب بالطاعون ومات سنة ١٢٧٠م كما سيتضح لاحقا، وبذلك انتهت هذه الحملة بالفشل بموت لويس التاسع فعاد الجنود الصليبيين من الفرنسيين الى بلادهم يجرون اذيال الخيبة والفشل .

## موقع فرنسا وموقع تونس



عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد  
Deanship of E-Learning and Distance Education

جامعة الملك فيصل  
King Faisal University

### حملة لويس التاسع على تونس

اعتبر كل المؤرخين حملة لويس التاسع على تونس ، حلقة من حلقات المواجهة التي فرضت على قسم من العالم الإسلامي خلال فترة طويلة من الزمن والتي درست أغلب تفاصيلها بطريقة دقيقة في العديد من الملتقيات العلمية، أما عن أسباب الحملات الصليبية بصفة عامة ، فقد خاض فيها العديد من المؤرخين ، ولكل منهم آراؤه وتحليله. فمنهم من يرى أن هذه الدوافع اقتصادية بحتة ومنهم من يضيف العامل الديمغرافي ، ومنهم من يصدر في المقدمة العامل الديني قبل أي سبب آخر، إلا أنه من المؤكد أن هذه العوامل كلها في مجملها لها نصيب الأسد في اندلاع وتواصل هذه الحملات الصليبية

### اسباب الحماة الصليبية على تونس

ويجدر بنا في مقدمة هذا المحاضرة أن نتساءل عن أسباب قيام هذه الحملة الصليبية الثامنة وأسباب تحويل وجهتها إلى تونس.

أول ما يلفت النظر هو الحالة الداخلية للبلاد التونسية خلال القرنين اللذين سبقا تاريخ الحملة. فمن المؤكد أن الأفرنجة لم يشعروا بالتهبة بأي خطر يمكن أن يتأتى من افريقية خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة ، فقد عرفت هذه الأصقاع آنذاك فترة من

الاضطرابات والتشتت إثر الزحفة الهلالية في منتصف القرن ٥ هجري / ١١ ميلادي، ونتج عن ذلك تقسيم افريقية إلى دويلات متصارعة لا تمثل خطرا على بلاد «الافرنجة والنصارى»، مما يسر لهم استرجاع صقلية بشيء من السهولة. وتواصل الأمر على هذا الحال حتى قدوم عبد المؤمن بن علي سنة الأخماس (٥٥٥هـ) حيث استتبت الأمور نسبيا ، ولم تعرف افريقية بعض القوة إلا عند قيام الدولة الحفصية ، ثم تطورت الأمور خلال حكم المستنصر بن أبي زكرياء الأول ، مؤسس الدولة الحفصية ، حيث أصبحت تونس لمدة وجيزة مقر الخلافة. فمن الناحية الغربية للبلاد ، أتته البيعة من الأندلس : خاصة من الناصريين بغرناطة ، وكذلك من بني عبد الواد بتلمسان، والمرينيين بفاس (سنة 652هـ / ١٢٥٤م).

أما في الناحية الشرقية ، فإن انقراض الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م (تحت ضربات المغول) أحدثت تصدعا خطيرا في صلب العالم الإسلامي نتيجة لانقسام العروة الوثقى والرابطة الروحية التي كانت تشده لبعضه.

وبعد حوالي سنة ونصف من هذا التاريخ وإثر انتصار المماليك على المغول في فلسطين (رمضان ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، وصلت رسالة مبايعة مصر إلى المستنصر (بداية ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) والتي لقب فيها بأمير المؤمنين

قبل وصول الحملة الصليبية إلى تونس ، أصبح المستنصر إذن رمزا هاما في العالم الإسلامي. فهو مع لقب الخليفة الذي تسمى به سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م، اتخذ أيضا لقب أمير المؤمنين ، ولا يستبعد أن يكون هذا العامل من الأسباب التي دفعت لويس التاسع إلى تغيير اتجاه الحملة الصليبية الثامنة إلى تونس. ومن البديهي أن مهاجمة هذا الرمز الذي أصبح له كثير من الدلالات ستشكل هزيمته انتصارا روحيا ومعنويا على بقية العالم الإسلامي.

ومن الممكن جدا أن لويس التاسع أراد أيضا من وراء حملته هذه إضعاف المستنصر وبالتالي منعه من إغاثة الأندلس ، التي مثلت هي الأخرى حلقة من حلقات صراع المسلمين مع القوى المسيحية ، وبالتالي يمكن تصور موقف الملك الفرنسي من قضية إخوانه في الدين ، الذين كانوا بصدد الاستيلاء على البقية المتبقية من الإمارات الإسلامية في الأندلس. وهكذا ، فإن الهجوم على تونس ساعد بصفة فعلية في وقف أي مساعدة

يمكن أن تصل إلى مسلمي الأندلس ، وهو بالطبع ما كان يصبو إليه كل المسيحيين ، بمن فيهم لويس التاسع.

أما ابن خلدون (هام)، فيفسر مبادرة لويس التاسع ، برجوعه إلى الفترات القديمة من تاريخ افريقية التي كانت من أول البلاد التي دخلت الدين المسيحي وساندته إلى أن جاء الإسلام ، وكان الفتح. فيوضح صاحب «المقدمة» أن ذلك هو ما يفسر «أنه لم تزل في نفوسهم (أي المسيحيين) من ذلك ضغائن ، فكان يخالجهم الطمع في ارتجاع ما غلبوا عليه». (مناقشة ١٢)

وهذا غير مستبعد فقد وجدت هذه الحملة هي الأخرى مساندة البابا أوربان الرابع الذي دفع بالمسيحيين للاتجاه إلى مصر والشام ، لنجدة إخوانهم المسيحيين هناك وحمائهم من أعدائهم المسلمين.

ويدعم هذا البعد الديني ما ذهب إليه برونشفيك من أن البعض من الرهبان الفرنسيين والدومينيكان أوهموا لويس التاسع بإمكانية تنصير السلطان الحفصي ، إذ أن إيمان لويس التاسع كان عميقا جدا. وبالطبع ، فإن إمكانية تنصير أمير المؤمنين تعد عملية بالغة الأهمية ، وهي حسب رأيه من الدوافع التي ساهمت في تغيير وجهته إلى تونس. وبالرغم من أنه لا يمكننا الاقتناع بهذه النظرية ، فإن هذا التصرف يتماشى وعقلية العصر ، خاصة بالنسبة للملك لويس التاسع الذي تصفه المصادر الفرنسية بأنه كان متطرفا دينيا.

وقد تساعدنا نشأة وشخصية لويس التاسع على فهم أسباب تنظيمه ومساهمته في هذه الحملات الصليبية من حيث تجمع مختلف المصادر والدراسات على أن شخصيته كانت معقدة، وكانت قراراته ومواقفه تبعث على الحيرة ؛ إلا أن الشيء الذي لا يمكن الشك فيه البتة هو إيمانه العميق

ولد لويس التاسع في عام ١٢١٤ ، وتولى السلطة وسنه لم تتجاوز الثانية عشر ، وكانت آنذاك الوصية على العرش بلونش دي كاستيل التي تصفها المصادر الغربية بالتقى ، مما أثر تأثيرا عميقا على بقية حياة الملك ، كما اهتمت بلونش بتعليم لويس التاسع وخاصة تمرينه على ركوب الجياد وعلى فنون الحرب ؛ مما جعل منه فارسا بارعا مولعا بقيادة الجند ، وفي آن واحد رجل دين جمع حوله القساوسة

إلا أنه انطلاقاً من تاريخ حملته الأولى على مصر تغير مجرى حياته ، وأصبح يميل أكثر للاختلاء بنفسه والعبادة. ومن المؤكد أنه بالرغم من استماعه لنصائح النبلاء المحيطين به ، فإنه لم يكن يطبقها ، بعكس تعامله مع رجالات الدين الذين أصبح لهم تأثير عميق على تصرفاته وعلى سياسته ؛ لكن بالرغم من ذلك ، فقد أبدى -حسب كل المصادر - الكثير من الحنكة ومن التبصر ، مما حمل الأوروبيين على احترامه. فلا غرابة إذن في قرار لويس أن يقود حملتين صليبيتين ، وهو ما يدفعنا إلى الاحتمال إلى أن دوافعه كانت في مرتبة أولى دينية ، نقول هذا بكل احتراز لأن الدوافع الأخرى لها وزنها ولا يمكن تجاهلها.

### المحاضرة الثالثة عشر

#### تابع الحملة الصليبية المتأخرة على المغرب "تونس"

عناصر المحاضرة

تابع الحملة الصليبية على تونس

تابع اسباب الحملة

الحالة الداخلية في تونس قبيل الحملة

أطوار الحملة

معاهدة الصلح بين الطرفين

بنود المعاهدة

#### تابع الحملة الصليبية على تونس

لقد تعددت اسباب ودوافع الحملة الصليبية على تونس كما بينا سابقاً في المحاضرة السابقة ويمكن ان نضيف الى اسباب هذه الحملة العامل الاقتصادي من جهة والعامل الاجتماعي

من جهة أخرى كان لهما دور لا يستهان به. فإضافة إلى الأبعاد الدينية التي تفسر قسما من أسباب الحملات الصليبية بصفة عامة، توجد نواح أخرى لها قيمتها خاصة منها الأسباب الاقتصادية؛ إذ مثل هذين العنصرين القاسم المشترك بين جميع الحملات الصليبية.

ومن بين الأسباب التي ركزت عليها الكثير من المراجع : النمو الديمغرافي الذي عرفه الغرب ، من ذلك دراسات المستشرقين التي تؤكد على نمو عدد الإقطاعيين والنبلاء والفرسان ، خاصة بفرنسا ولا ينطبق هذا الوضع على القرن الحادي عشر فقط، بل تواصل إلى القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي.

أما بالنسبة للناحية الاقتصادية ، فمما يمكن أن يفسر اتجاه لويس التاسع إلى تونس، هو أن أفريقية كانت تتحكم آنذاك في أهم ممرات سوق الذهب السوداني ، وهي التي كانت تزود أوروبا به. ومن الأكيد أن هذا العامل له أهمية قصوى بالنسبة للجمهوريات التجارية الإيطالية، وخاصة منها البندقية وجنوة، وقد ساهمت هذه الأخيرة بسفنها لتأمين نقل جنود القديس التاسع. كما أنه من المؤكد أن للإطار السياسي الذي عرفته صقلية في ذلك التاريخ دورا لا يستهان به في تحويل وجهة القديس لويس إلى تونس.

ففي سنة 1266 م (هام) ساند البابا كليمن شارل دنجو أخو لويس التاسع في الحصول على صقلية. فقد سبقه فيها فريديريك الثامن النورمندي الذي كان يعتبر صديقا للمسلمين ، مما جعل البابا يحقد عليه ، ثم أتى دور مانفرد (Manfred) سنة ١٢٥٨م. وكان أبو زكرياء الحفصي يدفع أتوة سنوية إلى فريديريك، إلا أنه بعد موته ساء حال مسلمي صقلية نتيجة للسياسة التي اتبعتها الكنيسة من تهجير لهم واستحواذ على أملاكهم ، إلخ وانطلاقا من هذا الموقف

وكذلك اعتبارا لمساهمة شارل إلى جانب أخيه لويس في الحملة الصليبية السابعة ، فقد قبل المستنصر الحفصي بعض خصوم شارل دنجو كلاجنين لديه ، ثم ساند هم ماديا وعسكريا على التحول إلى صقلية لمحاربة شارل الأول. وكان من بين هؤلاء خاصة كونرادان Conradin حفيد الملك السابق ، وكذلك هنري وفريديريك المغامرين اللذين هربا من مملكة أحيهما الفونس العاشر ملك قشتالة خلال عام ١٢٦٨ تخلص شارل الأول (Conradin) من عدوه كونرادين

وبعد سنة من ذلك وحد سلطته على كامل صقلية

انطلاقاً من هذا التاريخ ، بدأ ملك صقلية يطالب المستنصر الحفصي بدفع نفس الأديات التي كان يدفعها أبو زكرياء لفريديريك الثاني. وهكذا طالب من مبعوثي الملك الحفصي سنة ١٢٦٩م دفع ما تخلد بذمته انطلاقاً من تاريخ وفاة فريديريك الثاني، أي من سنة ١٢٥٨م. أمام هذه المطالب المجحفة ، رفض المستنصر دفع أي أتاة بالرغم من إرسال شارل دنجو بعدة مبعوثين إلى سلطان تونس لإيجاد حل لهذه المسألة

فمن الممكن جداً إذن أن موقف المستنصر من شارل ومساندة أعدائه ، ثم فيما بعد رفضه دفع أديات لحاكم صقلية ، جعلت هذا الأخير يحاول الانتقام في مرحلة أولى من هذا الخصم المسلم ، ثم الحصول على الأموال المتخلدة بذمته ، وهي في حد ذاتها عوامل ربما دفعت شارل دنجو لتحريض أخيه لويس التاسع على تحويل وجهته إلى تونس. (هام)

وقد أكد بعض المؤلفين الغربيين على أن شارل هو المسؤول عن الغلطة الفادحة التي ارتكبها لويس التاسع في تحوله إلى تونس ، وحسبما ذهبوا إليه ، فقد كان يأمل في الحصول على منافع تجارية واقتصادية من وراء هذه الحملة ، خاصة وأن تونس كانت تعرف آنذاك مجاعة نتج عنها موت العديد من السكان. وهكذا أصبحت في نظرهم لا تمتلك القوة الكافية لرد غزواتهم ..

ومن بين العوامل الأخرى التي ربما تمثل أقل أهمية ما يذكره ابن خلدون حول اعترام لويس التاسع «على الحركة إلى تونس متجنياً عليهم فيما زعموا بمال ادعاه تجارهم عند السلطان الحفصي، طالبوه بذلك المال وهو نحو ثلاثمائة دينار بغير موجب يستندون إليه ، فغضبوا لذلك واشتكوا إلى طاغيتهم لويس التاسع فامتعض لهم ، ورغبوه في غزو تونس لما كان فيها من المجاعة والموت، ادعى بعض التجار الفرنسيين إذن أن لهم ديناً على أحمد اللياني ، وهو أحد كبار رجالات الدولة (هام) ، وذلك بعد مقتله تحت طائلة التعذيب بأمر من المستنصر. ويفيدنا ابن خلدون أن المستنصر أرسل بمبعوثين إلى لويس التاسع لإيجاد حل لهذه المشكلة. وقد رفض لويس التاسع التصالح ، بالرغم من أن المستنصر قبل أن يدفع مبلغاً ضخماً له ، لكن هل يمكن أن يكون هذا هو السبب الرئيسي في وجهة لويس التاسع إلى تونس ؟ لقد كانت أوضاع تونس الداخلية وحالة الضعف من أسباب هذه الحملة

الحالة الداخلية في تونس قبل بداية حملة لويس التاسع

لا يستبعد أن تكون الحالة الداخلية التي عرفتها البلاد انطلاقا من سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م قد شجعت لويس التاسع على الاتجاه إلى تونس ، إذ عرفت إفريقية انطلاقا من هذا التاريخ العديد من المشاكل والاضطرابات الداخلية. فقد انتشر الوباء حتى أن المستنصر نفسه أصيب به ، لكنه لم يدم طويلا ، فلا نجد أي أثر له بعد فترة قصيرة من ذلك ، كما ضرب عملة من النحاس سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م أثارت بعض القلاقل لدى العامة. لكن أهم الاضطرابات التي عرفتها إفريقية هي الثورات الداخلية وخاصة منها بالمنطقة الغربية ، فتفيدنا المصادر أن **أبا علي بن العباس صاحب مليانة (هام)** ثار سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م

فاضطر المستنصر إلى البعث بأخيه أبي حفص لقمع هذه الثورة. كما ثارت قبيلة الذواودة بقسطنطينة تحت إمرة شيخهم شبل بن موسى (هام) ، لكن هزمهم السلطان سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م، ثم أعاد الكرة بعد سنتين بإعانة قبائل الكعوب ودباب وبربر سدويكش، وكان له النصر مرة أخرى. ومن ناحية أخرى ، فإن بعض أقرباء السلطان أقضوا مضجعه. فقد هرب عدد منهم إلى خارج البلاد في انتظار حلول دورهم للثورة والفوز بالسلطة. لهذا نرى المستنصر يجابه الثورات والمؤامرات الداخلية طيلة العشر سنوات التي سبقت حلول الجيوش الصليبية ، كما نلاحظ صراعاً على السلطة بين الشق الموحيدي والقادمين الجدد من الأندلسيين الذين أصبحوا يزاخمونهم على المناصب السياسية العليا

كما عرفت البلاد مجاعة أشرنا إليها ، إذ يعلمنا ابن خلدون أن التجار الفرنسيين الذين اشتكوا المستنصر إلى لويس: «رغبوه في غزو تونس لما كان فيها من المجاعة والموت هكذا إذن ، رغم القوة التي كانت تبني عليها السلطة الحفصية ، فإن الاستقرار والأمن لم يكونا منتشرين في البلاد بصفة قطعية ، لكن رغم هذه الثورات والانشقاقات الداخلية يمكن القول إن الدولة الحفصية كانت تعرف انتعاشا نسبيا. ومن الممكن جدا أنه تم إيهام لويس التاسع بضعف القوى الحفصية، مما جعله يطمع في الاستحواذ على تونس بسهولة.

### أطوار الحملة

ومن المؤكد أن الملك الفرنسي كان ما زال آنذاك يتذكر ما حصل له في مصر فبعد النداء الذي توجه به البابا ، خرج لويس التاسع من فرنسا متجها إلى المشرق الإسلامي في ١٢٤٨م. إلا أن حملته هذه ختمت بهزيمة نكراء سنة ١٢٥٠م أدت إلى أسره. وحفظ التاريخ اسم القاضي ابن لقمان الذي سجن سان لويس في داره بالمنصورة وكلف به

خصياً اسمه صبيح. ويفيدنا المقريري أن ملك فرنسا افتدى نفسه بمبلغ مالي قدره ٤٠٠ ألف دينار وتعهد بعدم محاربة المسلمين ، ولم يغادر المنطقة إذ لم يرجع إلى فرنسا إلا سنة ١٢٥٤م.

إلا أن هزيمته وأسرته لم يمنعه من تنظيم صفوفه واقتياد حملة جديدة ، لكن يجب علينا التساؤل هل كان من أول وهلة ينوي لويس التاسع الاتجاه مباشرة إلى تونس ؟ إذ يذهب بعض المؤرخين إلى أن قراره تنظيم حملة صليبية أخرى نتج عن انتصارات الظاهر بيبرس ، وهو ما دفعه - رغم تعهده بعدم محاربة المسلمين - إلى التحول إلى مصر والشام. وتم خروجه من فرنسا عام ١٢٧٠م والتحق به أتباعه. وبعد إتمام عدته ، اتجه إلى مدينة كاغلياري وذلك على متن سفن جنوية .

وفي هذه المدينة السردينية اكتمل النصاب بوصول بقية المساهمين في الحملة. ومن الملاحظ إلى حد الآن أن جميع أعضاء الحملة كانوا متأكدين من تحولهم إلى المشرق الإسلامي نحو مصر أو فلسطين ، لكن لويس التاسع جمع قاداته ومرافقيه على متن سفينته ، وطلب منهم الموافقة على تحويل وجهتهم نحو تونس. كان عدد المساهمين في الحملة حسب ما ذكر ابن خلدون: «سنة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجالة. وكانت أساطيلهم ثلاثمائة بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسيب (وهي سفن كبيرة) إلا أن هذه الجموع الصليبية لم تنب على هذا العدد فقط ، فقد وصلت الإمدادات عن طريق السفن من صقلية وسردانيا وغيرها.

واصطحب لويس التاسع خلال هذه الحملة أبناءه : فيليب وبطرس وجون تريستان (Tristan)؛ كما وجد مع الملك أخاه ألفنس وصهره تيبو وابنته ايزابال (Isabelle) وكذلك بعض النبلاء ككنت اللوكستبور وكونت بريطانيا إلخ. كما ممثل الكنيسة الكاردينال رودولف دالبانو وهكذا أمكن لأعضاء الحملة النزول بساحل قرطاج على أن تتم المنازلة هنالك ، ولكن قبل نزولهم أرسل المستنصر قبالة قرطاج بمدينة رادس الحالية : حوالي أربعة آلاف فارس متكونين من المرابطة المتطوعين وجند من الأندلس ، وكان هؤلاء تحت إمرة أهم رجالات الدولة : محمد بن الحسين رئيس الدولة. ولم يكن اختيار رادس بحكم الصدفة ، فهي كانت قريبة من تونس وأقل حماية من بقية الأماكن... (هام جدا)

كما يفيدنا ابن خلدون بأن المستنصر الحفصي لم يخرج بنفسه مقاومة الأعداء ، بل التزم بالعودة بإيوانه مع بطانته وأهل اختصاصه. وهذا يعني قلة حزمه وقصر نظره ، وأنه لم يكن مؤمنا بالنصر ، وأنه كان متهيئا للفرار عندما يحين وقته ، كما يصف موقفه بالمائع ، كان السلطان الحفصي المستنصر ، غير مستعد لهذا الهجوم. وخاصة أن الحالة التي كانت عليها البلاد من مجاعة واوربنة ، أضف إلى ذلك بعض الثورات الداخلية ، ساهم في صرف اهتمامات الخليفة إلى مشاكله الداخلية. وقدوم هذه الحملة الصليبية على غرة لم تترك له المجال للتعبئة في الوقت اللازم. كما نعلم أيضا أن الخليفة الحفصي لم يبعث في طلب المدد إلا بعد نزول النصارى.

أسهمت الجموع الشعبية بصفة مباشرة في المعركة عن طريق تحمل النفقات وتأمين قوات الجند فقط ، و عن طريق المساهمة المباشرة في محاربة الإفرنجية - مثلما حصل ذلك بالمشرق - وهذه المساهمة الشعبية دليل قاطع على أنهم اعتبروا مساهمتهم في هذه الحرب جهادا في سبيل الله. فقد خرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بأنفسهم وتبعتهم أعداد وافرة من أتباعهم ، خاصة منهم أهالي القيروان وسوسة ، كان نزول الجيوش الصليبية قرطاج يوم ستة وعشرين من ذي القعدة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م، إلا أن قرطاج كانت خربة وكانت كما يذكر ابن خلدون: «مائلة الجدران ،

وقد وصلتهم رسالة من شارل دنجو تحثهم على انتظاره وعدم شن الغارات قبل قدومه وهذا على ما يبدو ما دفع بلويس التاسع إلى عدم الخروج من وراء تحصيناته لمجابهة أعدائه ، فقد كان بالفعل ينتظر المدد من صقلية عن طريق أخيه شارل، خاصة وأن الجند الإسلامي كان يفوق عددا. ولقد عدها الجميع غلطة فادحة ارتكبتها رئيس القوات الإفرنجية. فعدم مباشرته الحرب سمح للمستنصر أن يجهز نفسه لخوض غمار هذه الحرب ، ثم وصلت رسالة ثانية من شارل دنجو يعلم فيها لويس بقرب قدومه وقد أتى بها طوال المدة التي بقيها الصليبيون بقرطاج ، لم تدر حرب طاحنة ، بل كل ما يمكن قوله أن المسلمين كانوا يهاجمون باستمرار أماكن الإفرنجية، وخاصة المتطوعين وأتباع الأولياء والصالحين ، الذين كانوا يخرجون كل يوم من أريانة للتحويل إلى قرطاج، وهو ما يعرف عندنا اليوم بحرب الاستنزاف.

ومن واجبا التساؤل هل أن السبب الوحيد لعدم خروج الصليبيين من قرطاج هو انتظار المدد ، أم كان يوجد سبب آخر ؟ فمن المؤكد أن جل المساهمين في هذه الحملة كانوا

ينتظرون التحول إلى المشرق الإسلامي ، أين يوجد بيت المقدس ؟ وأين توجد الخيرات الكثيرة التي وعدوا بها ، إلا أن تحويل وجهتهم إلى تونس ربما انجر عنه شيء من التملل ومن التخاذل في صفوفهم ، أو بالأحرى لم يكونوا مؤمنين بأهداف هذه الحملة ، وهو ما يمكن تفسير عدم التحامهم مع صفوف المسلمين في معركة حاسمة ؟ وتذكر المصادر الغربية أن الصليبيين قاموا ببعض الهجمات المعاكسة ، لكنها حسب نفس

المصادر لم تأت بأي نتيجة تذكر ، وتعل ذلك بحلول الوباء داخل معسكر الصليبيين الذي نتج عنه موت العديد من الجنود. وهكذا ، فإن الابن الأصغر لملك فرنسا مات الكريستال رودولف دالبانو. ثم يؤكد الجميع على موت لويس التاسع نفسه في شهر محرم من عام ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م وأصبح ملك الفرنجة ميتا، يقال أصابه سهم عرب في بعض المواقع

### معاهدة الصلح بين الطرفين

إذن فالمعاصرون للويس التاسع أنفسهم يؤكدون على موته من جراء الوباء ، لكن يمكن الإشارة إلى أن تحاليل طبية حصلت سنة ١٩٦٥ على بقايا جمجمة لويس التاسع بينت أن موته حاصل من جراء سهم أصابه في فكه الأيمن. ولا شك أن هذا العنصر كان من الدوافع الحقيقية لرغبة شارل دنجو والملك الجديد لفرنسا فيليب الثالث في مغادرة إفريقيا. ولهذا تم الاتصال بالسلطة الحفصية لوجود مخرج للفريقين يتم فيه حفظ ماء الوجه. على كل حال ، فإن المستنصر قبل العرض ، وهو أن يدفع مبلغا ماليا معيناً للقوات المتحالفة. فبعث بوفد لعقد الصلح في سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م، رغم معارضة رجالات الدولة وخواصه ، لذلك فإنه لم يبعث ضمن هذا الوفد أيا من الشخصيات لهامة للدولة ، إذ ترأس الوفد أبو زيان بن عبد القوي رئيس قوة بني توجين.

### بنود المعاهدة

أما الذي تولى صياغة نص العقد ، فهو القاضي ابن زيتون ولم يتوصل الوفدان إلى الاتفاقية إلا بعد بضعة أسابيع من المفاوضات. (هام)

إن أهم ما ورد في فصول الاتفاقية هو أن تدوم الهدنة خمسة عشر عاما ابتداء من ٦٦٩هـ - ١٢٧٠م، ويدفع المستنصر غرامة مالية قدرها مائتان وعشرة آلاف أوقية ذهباً ، تدفع أقساطاً ، وأن تؤدي إلى شارل دنجو الأدعاءات التي كانت تدفع سابقاً لفريديريك الثاني بما في ذلك الخمس سنوات التي سبقت ذلك التاريخ. إلا أن المستنصر الحفصي حمل

الرعايا على دفع كل هذه الغرامة التي يقدرها ابن خلدون بدوره بعشرة أحمال من المال غير أنه رغم أن المستنصر لاقى معارضة من كبار القوم في إجراء هذه الاتفاقية ، فإنه يبدو أن عامة الشعب تنفست الصعداء برحيل الغزاة.

لقد مثلت هذه الحملة الصليبية الثامنة إذن إحدى الحلقات المترابطة في الصراع الذي فرضه الغرب على بلاد الإسلام لمدة قرنين ، بالرغم من أن البلاد التونسية لم تعرف هذه الحروب إلا فترة زمنية قصيرة نسبيا (أربعة أشهر)، فإن النتائج كانت سلبية من الناحية المادية ، وقد أثرت على سلطة الخليفة الحفصي المستنصر بالله. وبالرغم من رحيل الصليبيين نهائيا من المشرق سنة ١٢٩١م، فإنه علينا التساؤل إن كانت قد انتهت هذه الهجمات المسيحية خلال هذا التاريخ وبصفة نهائية. فنحن نلاحظ أنه حصل الهجوم فيما بعد على العديد من أقسام العالم الإسلامي على مرّ القرون ، وذلك مباشرة إثر هذا التاريخ ، لكن علينا أيضا أن لا نتناسى أن غزاة الغرب واصلوا نفس هذه السياسة. لذلك ، فنحن نتساءل هل هذه الحملات كانت من قبيل الصدفة أو هي كانت مخططة ومدروسة؟ الإجابة إنها حملات مخططة ومدروسة بعناية ضد الإسلام والمسلمين \*\*\*\*\*

## المحاضرة الرابعة عشر

## عنوان المحاضرة

### نهاية الوجود الصليبي في بلاد الشام

تقييم عام

عناصر المحاضرة

“ التعريف بالمماليك ” الأصل والنشأة

- مصادر المماليك

جهود المماليك في طرد الصليبيين من بلاد الشام

جهود السلطان بيبرس

جهود السلطان المنصور قلاوون

آثار الحروب الصليبية

التعريف بالمماليك؟

**المماليك في اللغة العربية** هم العبيد أو الرقيق، وبخاصة هم الذين سُبوا ولم يسب أبواهم ولا أمهاتهم .. ومفرد المماليك مملوك، وهو العبد الذي يباع ويشترى .. (العبد الذي سُبى أبواه يعرف بالعبد القن وليس المملوك).. ومع أن لفظ المماليك بهذا التعريف يعتبر عاماً على معظم الرقيق، إلا أنه اتخذ مدلولاً اصطلاحياً خاصاً في **التاريخ الإسلامي**، وذلك منذ أيام الخليفة العباسي المشهور **المأمون**، والذي حكم من سنة ١٩٨ هـ إلى ٢١٨ هـ، وأخيه **المعتصم** الذي حكم من سنة ٢١٨ هـ إلى ٢٢٧ هـ.. ففي فترة حكم هذين الخليفين استجلبا أعداداً ضخمة من الرقيق عن طريق الشراء من أسواق النخاسة، واستخدموهم كفرق عسكرية بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهما ..

وبذلك - ومع مرور الوقت - أصبح **المماليك** هم الأداة العسكرية الرئيسية - وأحياناً الوحيدة - في كثير من البلاد الإسلامية .. وكان أمراء **الدولة الأيوبية** بوجه خاص يعتمدون على

المماليك الذين يمتلكونهم في تدعيم قوتهم، ويستخدمونهم في حروبهم، لكن كانت أعدادهم محدودة إلى حد ما، إلى أن جاء الملك **الصالح نجم الدين أيوب**، وحدثت فتنة كبيرة في جيشه جيشه، فاضطر رحمه الله إلى الإكثار من المماليك، حتى يقوي جيشه ويعتمد عليهم، وبذلك تزايدت أعداد المماليك جداً، وخاصة في مصر..

### مصادر المماليك

كان المصدر الرئيسي للمماليك إما بالأسر في الحروب، أو الشراء من أسواق النخاسة.. ومن أكثر المناطق التي كان يجلب منها المماليك بلاد ما وراء النهر، (النهر المقصود هو نهر جيحون، وهو الذي يجري شمال تركمنستان وأفغانستان، ويفصل بينهما وبين أوزبكستان وطاجكستان). وكانت الأعراق التي تعيش خلف هذا النهر أعراق تركية في الأغلب، وكانت هذه المناطق مسرحاً دائماً للقتال وعدم الاستقرار، ولذلك كثر الأسرى القادمون من هذه المناطق، وكثرت أسواق الرقيق هناك، ومن أشهر مدن الرقيق في ذلك الوقت كانت "سمرقند" و"فرغانة" و"خوارزم" وغيرها.. لذلك كان الأصل التركي هو الغالب على المماليك، وإن كان لا يمنع أن هناك مماليك من أصول أرمينية ومن أصول مغولية، كما كان هناك مماليك من أصول أوروبية، وكان هؤلاء الأوربيون يعرفون بالصقالبة، وكانوا يستقدمون من شرق أوروبا بوجه خاص

كل هذا كان يحدث على مدار عشرات أو مئات السنين، ولكن الأمر الذي استحدثه الملك الصالح أيوب -وتبعه بعد ذلك سلاطين دولة المماليك- أنه كان لا يأتي إلا بالمماليك الصغار في السن، أي في مرحلة الطفولة المبكرة، وكان غالبهم من بلاد غير مسلمة، وإن كان يحدث أحياناً أن يؤسر بعض الأطفال المسلمين غير الناطقين بالعربية، فلا يعرفون، ولا يعرف أصلهم أو دينهم، فيعاملون معاملة الرقيق..

**تربية المماليك:** كان الصالح أيوب -ومن تبعه من الأمراء- لا يتعاملون مع المماليك كرقائق.. بل على العكس من ذلك تماماً.. فقد كانوا يقربونهم جداً منهم لدرجة تكاد تقترب من درجة أبنائهم.. ولم تكن الرابطة التي تربط بين المالك والمملوك هي رابطة السيد والعبد أبداً، بل رابطة المعلم والتلميذ، أو رابطة الأب والابن، أو رابطة كبير العائلة وأبناء عائلته.. وهذه كلها روابط تعتمد على الحب في الأساس، لا على القهر أو المادة.. حتى إنهم كانوا يطلقون على السيد الذي يشتريهم لقب "الأستاذ" وليس لقب "السيد".. ويشرح **المقريزي**

كيفية تربية المملوك الصغير الذي يُشترى وهو طفل، فيقول: "إن أول المراحل في حياة المملوك هي أن يتعلم العربية قراءة وكتابة، ثم القرآن الكريم، مبادئ الفقه الإسلامي، تدريبه على الصلاة

يخضع المملوك لمراقبة شديدة من مؤدبيه ومعلميه، فإذا ارتكب خطأ يمس الآداب الإسلامية نُبه إلى ذلك، ثم عوقب". لهذه التربية المتميزة كان أطفال المماليك ينشئون عادة وهم يعظمون أمر الدين الإسلامي جداً، وتتكون لديهم خلفية واسعة جداً عن الفقه الإسلامي، وتظل مكانة العلم والعلماء عالية جداً عند المماليك طيلة حياتهم، وهذا ما يفسر النهضة العلمية الراقية التي حدثت في زمان المماليك، وكيف كانوا يقدرّون العلماء حتى ولو خالفوهم في الرأي .. ولذلك ظهر في زمان دولة المماليك الكثير من علماء المسلمين الأفاضل من أمثال **العز بن عبد السلام والنووي وابن تيمية وابن القيم الجوزية وابن حجر العسقلاني وابن كثير والمقرئزي وابن جماعة وابن قدامة المقدسي** رحمهم الله جميعاً، وظهرت أيضاً غيرهم أعداد هائلة من العلماء يصعب جداً حصرهم ..

ثم إذا وصل المملوك بعد ذلك إلى سن البلوغ جاء معلمو الفروسية ومدربو القتال يعلمونهم فنون الحرب والقتال وركوب الخيل والرمي بالسهام والضرب بالسيوف ، حتى يصلوا إلى مستويات عالية جداً في المهارة القتالية، والقوة البدنية، والقدرة على تحمل المشاق والصعاب.. ثم يتدربون بعد ذلك على أمور القيادة والإدارة ووضع الخطط الحربية، وحل المشكلات العسكرية، والتصرف في الأمور الصعبة، فينشأ المملوك وهو متفوق تماماً في المجال العسكري والإداري، وذلك بالإضافة إلى حمية دينية كبيرة ، وغيره إسلامية واضحة .. وهذا كله - بلا شك - كان يثبت أقدام المماليك تماماً في أرض القتال.. وكل ما سبق يشير إلى دور من أعظم أدوار المربين والآباء والدعاة، وهو الاهتمام الدقيق بالنشء الصغير، فهو عادة ما يكون سهل التشكيل، ليس في عقله أفكار منحرفة، ولا عقائد فاسدة، كما أنه يتمتع بالحمية والقوة والنشاط، وكل ذلك يؤهله لتأدية الواجبات الصعبة والمهام الضخمة على أفضل ما يكون الأداء ..

وفي كل هذه المراحل من التربية كان السيد الذي اشتراهم يتابع كل هذه الخطوات بدقة، بل أحياناً كان السلطان الصالح أيوب - رحمه الله - يطمئن بنفسه على طعامهم وشرابهم وراحتهم، وكان كثيراً ما يجلس للأكل معهم، ويكثر من التبسط إليهم، وكان المماليك يحبونه حباً كبيراً حقيقياً ، ويدينون له بالولاء التام.. وكان المملوك إذا أظهر نبوغاً عسكرياً

ودينياً فإنه يترقى في المناصب من رتبة إلى رتبة، فيصبح هو قائداً لغيره من المماليك، ثم إذا نبغ أكثر أعطي بعض الإقطاعات في الدولة فيمتلكها، فتدر عليه أرباحاً وفيرة ، وقد يُعطي إقطاعات كبيرة ، بل قد يصل إلى درجة أمير، وهم أمراء الأقاليم المختلفة، وأمراء الفرق في الجيش وهكذا

وكان المماليك في الاسم ينتسبون عادة إلى السيد الذي اشتراهم.. فالمماليك الذين اشتراهم الملك الصالح يعرفون بالصالحية، والذين اشتراهم الملك الكامل يعرفون بالكاملية وهكذا..وقد زاد عدد المماليك الصالحية، وقوي نفوذهم وشأنهم في عهد الملك الصالح أيوب، حتى بنى لنفسه قصراً على النيل، وبنى للمماليك قلعة إلى جواره تماماً .. وكان القصر والقلعة في منطقة الروضة بالقاهرة، وكان النيل يعرف بالبحر، ولذلك اشتهرت تسمية المماليك الصالحية "بالمماليك البحرية" (لأنهم يسكنون بجوار البحر). وهكذا وطم الملك الصالح أيوب ملكه بالاستعانة بالمماليك الذين وصلوا إلى أرقى المناصب في جيشه وفي دولته، وتولى قيادة الجيش في عهده أحد المماليك البارزين اسمه "فارس الدين أقطاي" (هام)، وكان الذي يليه في الدرجة هو ركن الدين بيبرس، فهما بذلك من المماليك البحرية

### جهود المماليك في طرد الصليبيين من بلاد الشام : (مناقشة ٤٤١)

كانت هناك إمارات في ساحل الشام لم يتم إجلاء الصليبيين منها بالكلية إلى أن انتهى عهد الأيوبيين وجاء عهد المماليك، فكان للسلطان الظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون وابنه خليل دور كبير في القضاء على الصليبيين وإزالة ملكهم عن بلاد الشام بالكلية، ولقد كان هناك دولة للأرمن النصارى جنوب بلاد الأناضول وقد كانوا حلفاء للصليبيين والتتار. ولقد أدرك الظاهر بيبرس أن أي عمل حربي يقوم ضد الأرمن والصليبيين سيكون محرضاً للتتار للقدوم والمشاركة مع النصارى في مواجهته ، والتتار لا تزال لهم دولة قوية في الشرق تحت إمرة حاكمهم هولوكو

### جهود السلطان بيبرس

ولقد كان هناك طائفة من التتار لا تخضع لهولوكو وهم مغول "القفجاق" ، ويسمون القبيلة الذهبية وزعيمهم هو "بركة خان" ، وقد اعتنق الإسلام ، فاغتنم الظاهر بيبرس هذه الفرصة فكتب بركة خان وحرضه على قتال هولوكو، فاستجاب لذلك بركة خان وكان

مخلصا في إسلامه، فقاتل هولأكو حتى شغله عن المسلمين وأضعفه وفرق جنده، وبهذا أمن بيبرس جانب التتار وتفرغ للصليبيين. ثم سار السلطان بيبرس من مصر بجيشه إلى الشام في عام أربعة وستين وستمئة قاصدا جهاد الصليبيين، وقد نزل في عين جالوت وبعث عدة جيوش للإغارة على إمارات الصليبيين في الساحل، فأغاروا على عكا وصور وطرابلس وحصن الأكراد، فسبوا وغنموا شيئا كثيرا، ثم نزل الظاهر بيبرس على مدينة "صفد" في الثامن من شهر رمضان، وقد فتحها بعد حصار طويل، وقتل كثيرا من أهلها ثم جعلها معقلا للمسلمين، فوضع فيها الجنود وزودها بالذخائر والأسلحة.

عاد الظاهر إلى دمشق ووجه جيشا لقتال الأرمن ، الذين ناصروا التتار حينما غزوا الشام ، واستجدوا بهم حينما أراد بيبرس فتح أنطاكية، فوجه بيبرس جيشين بقيادة الأمير قلاوون والأمير المنصور الأيوبي أمير حماة، فالتقوا مع المسلمين عند "دربساك"، وهي قلعة عند أنطاكية، فأنزل المسلمون بالأرمن وحلفاءهم هزيمة كبرى، واستولوا على عدد من بلدانهم المهمة ، منها "سيس" عاصمة أرمينية الصغرى. وغنم المسلمون واسروا الكثير ، ومن بينهم ابن "هيثوم" ملك أرمينية الصغرى ، ولم يستطع "هيثوم" استرداد ابنه إلا بمقابل تنازله عن مواقع مهمة مثل : "دربساك" التي تتحكم في الطريق بين أرمينية وأنطاكية، ومدن أخرى بين أرمينية والجزيرة ؛ حيث يوجد التتار خلف الأرمن ، وبهذا استطاع بيبرس أن يضعف أرمينية جدا، وأن يحصرها بحيث لا تستطيع أن تستجد بأعدائه، وفي عام ٦٦٥ هـ خرج السلطان بيبرس من مصر إلى الشام على حين غفلة، وسار نحو "يافا" فوافته رسل صاحبها في الطريق فاعتقلهم وأمر العسكر بلبس آلة الحرب ، وسار فصبح "يافا" وأحاط بها من كل جانب ، فهرب من فيها من الصليبيين إلى قلعتها فملك السلطان المدينة، وطلب أهلها الأمان فأمنهم وعوضهم عما نهب لهم بأربعين ألف درهم، فركبوا المراكب إلى "عكا" ، وهكذا تم فتح "يافا" وإجلاء الصليبيين منها بهذه السرعة والسهولة.

وبعد أن فتح الظاهر بيبرس "يافا" توجه شمالا يريد فتح "أنطاكية" ، وفي طريقه إليها فتح قلعة "الشقيف" وقلعة "الباشورة" وغيرهما ، ولما قرب من أنطاكية أمر العسكر ليلا بلبس آلة الحرب، ونزل "أنطاكية" في غرة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان وشرطوا شروطا لم يجب إليها، وزحف عليها ففتحها يوم السبت رابع

الشهر، وقد كان **أول من فتح "أنطاكية"** (هام) وقضى على الصليبيين فيها منذ أن استولوا عليها.

وقد استمر الظاهر بيبرس في غزو الصليبيين في ساحل الشام، ومن ذلك ما قام به سنة تسع وستين وستمائة حيث خرج من مصر في ثاني عشر من شهر جمادى الآخرة، وكان معه ولده الأمير السعيد، وقد هاجم عددا من حصون الصليبيين وقلاعهم الحصينة، وفتح منها قلعتي "صافيتا" و"المجدل" وحصن "الأكراد". ومما يذكر للسلطان الظاهر بيبرس كثرة خروجه للجهاد، حيث كان لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار بعاصمة سلطنته وهو يرى البلاد الإسلامية مهددة من الصليبيين والتتار، وقد بلغت قوة دولته حدا أرهب الأعداء، وجعل بعضهم يحاول الصلح معه رحمه الله

### جهود السلطان المنصور قلاوون

تولى السلطان المنصور قلاوون الحكم سنة ٦٧٨ هـ، وبدأ قتاله للصليبيين سنة ٦٨٤ هـ، حيث خرج بجيشه من مصر إلى الشام، ووصل إلى حصن "المرقب" الذي يسيطر عليه الصليبيون، وحاصر ذلك الحصن، ونصب المسلمون المنجنيق ورموا بها الحصن، وهدموا أبراجه، واستمر ذلك ست وثلاثين يوما حيث زحف السلطان بجيشه واستولى على ذلك الحصن، ونزل من فيه من الصليبيين بالأمان على أرواحهم فركبوا وجهاز السلطان معهم من أوصلهم إلى "أنطرسوس". ثم في عام ثمانية وثمانين وستمائة خرج السلطان المنصور قلاوون من الديار المصرية بعساكره لحصار "طرابلس"، ووصل في مستهل شهر ربيع الأول إلى "طرابلس" وحاصرها ونصب عليها المنجنيق وضايق أهلها مضايقة شديدة إلى أن فكها عنوة في يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر ربيع الأول، وشمل القتال والأسر سائر من فيها من الصليبيين، وغرق منهم في الماء جماعة كثيرة، كما تم الاستيلاء على عدد من الحصون التابعة لها. وفي ثالث شهر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة سار السلطان خليل بن قلاوون حتى نازل "عكا" في يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر، فاجتمع عنده على "عكا" من الأمم ما لا يحصى كثرة، وكان المطوعة أكثر من الجند ومن في الخدمة، ونصب عليها المجانيق الكبار والصغار ونقب النقبون في سورها عدة نقوب، وأنجد أهل "عكا" صاحب "قبرص" بنفسه، وفي ليلة قدومه عليهم أشعلوا نيرانا عظيمة لم ير مثلها فرحا به.

وأقام عندهم ما يقرب من ثلاثة أيام ثم عاد عندما شهد انحلال أمرهم وعظم ما دهمهم، ولم يزل الحصار عليها والجد في أمر قتالها إلى انحلت عزائم من بها وضعف أمرهم واختلفت كلمتهم. فلما كان سحر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ركب السلطان والعساكر وزحفوا عليها قبل طلوع الشمس ، وضربوا المجانيق فكان لها أصوات مهولة وحس عظيم مزعج في حال ملاصقة العسكر لها وللأسوار هرب الفرنجة وملكت المدينة بالسيف، ولم تمض ثلاث ساعات من النهار المذكور إلا وقد استولى المسلمون عليها ودخلوها، وطلب الفرنجة البحر فتبعتهم العساكر الإسلامية تقتل وتأسر فلم ينج منهم إلا القليل. وكان السلطان خليل بن قلاوون عند منازلته عكا قد جهز جماعة من الجند مقدمهم الأمير علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير إلى "صور"؛ لحفظ الطرق وتعرف الأخبار وأمر بمضايقة "صور"، فبينما هو في ذلك لم يشعر إلا بمراكب المنهزمين من عكا وافت ميناء "صور"، فحال بينها وبين الميناء، فطلب أهل "صور" الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم ويسلموا "صور" فأجيبوا إلى ذلك فتسلمها، ثم إن السلطان لما علم بذلك جهز إليها من خربها وهدم أسوارها وأبنيتها. وبعد هذه الفتوح لم يبق للصليبيين في الشام إلا مدينة "صيدا" و"عتليت" و"أنطربوس"، وكان السلطان خليل بن قلاوون قد ولي على نيابة الشام علم الدين سنجر الشجاعى(هام)، فحاصر مدينة "صيدا" حتى فتحها بالأمان لأهلها يوم السبت خامس عشر رجب من سنة تسعين وستمائة، ثم فتح قلعة "جبيل" وخربها بأمر السلطان ثم فتح "عتليت" بعد شهر. وأما أهل "أنطربوس" فإنهم لما بلغهم أخذ هذه القلاع عزموا على الهرب فجرد الأمير سيف الدين بلبان الطباخي عسكرا فلما أحاطوا بها ركبوا البحر وهربوا إلى جزيرة "أرواد" القريبة منها فندب إليها السعدي بما كان أحضره من مراكب فأخلوها وكان فتح هذه المدن الست في ستة شهور. وهكذا قام السلطان المنصور قلاوون بمشروع جهادي كبير لاستئصال بقية الصليبيين في الشام، فبدأ بفتح حصن "المرقب" الحربي الذي كان واسعا وفي غاية الأهمية، ثم ثنى بفتح مدينة "طرابلس" التي كانت مشهورة بحصانتها ومناعة أسوارها، ثم ثلث بالعزم على حصار مدينة "عكا" فوافته المنية قبل ذلك فحقق له أمنيته ابنه السلطان خليل الذي خلفه في الحكم، وكانت "عكا" أهم مراكز الصليبيين في ساحل الشام، ثم توج السلطان خليل بن قلاوون أعماله الجهادية بفتح بقية المدن والحصون التي استولى عليها الصليبيين. وبهذه الفتوحات انتهى وجود الصليبيين في بلاد الإسلام الذي بدأ عام ثمانية وسبعين

وأربعمائة واستمر حتى عام تسعين وستمائة للهجرة ، وهذا يعني أن احتلال الصليبيين لأجزاء من بلاد المسلمين استمر اثنتي عشرة ومائتي سنة.(هام)

**خامسا : آثار الحروب الصليبية:**

- الآثار على الجانب الإسلامي :

١. بدأت هجرات كبرى من الغرب إلى الشرق وسكنت الشام بالمقابل هاجر المسلمون إلى الغرب الأوروبي. ٢. انتشار التصوف من النتائج السلبية للحروب الصليبية على غرار الرهبنة والحركة الديرية التي سادت في أوروبا في هذه الآونة مع الاختلاف الكلي في التوجه بين الجانبين . ٣. تطور الفن والعمارة الإسلامية في مصر والشام حيث ظهرت العديد من التكايا والزوايا على الطرق. ٤. دخول ألفاظ أجنبية وتأثير الصليبيين في ثقافة المسلمين وأدبهم نتيجة الاحتكاك المباشر. ٥. الازدهار التجاري ، حيث أنشئت شركات في عصر المماليك مثل شركة فلورانس. ٦. ما زال الغرب يكن الكره للمسلمين ويجتر الذاكرة الصليبية حتى في الوقت الراهن ومن ذلك عندما وقف اللورد اللنبي قائد الإنجليز عندما استولى على القدس سنة ١٩١٧م وانتزعها من الأتراك ليقول كلمته المشهورة : " الآن انتهت الحروب الصليبية " ، **ويقول القائد الفرنسي غورو:** عندما دخل دمشق سنة ١٩٢٠م وقف **على قبر صلاح الدين الأيوبي** رحمه الله قاهر الصليبيين في حطين ليقول متشفيا شامتا : **"هانحن عدنا يا صلاح الدين"** .

**ثالثاً : في النهضة العلمية والحضارية :**

إن الحروب الصليبية عرفت دول غرب أوروبا على الحضارة الإسلامية بشكل أعمق وأعرض ، وتركت في حضارة أوروبا في عصر النهضة سمات ودلائل تشير إلى التأثير بالحضارة الإسلامية والنقل عنها. وسنشير إلى بعض الجوانب ، ومنها : **أولا :** الطب : في الوقت الذي كانت الكنيسة تحرم صناعة الطب لاعتقادها أن المرض عقاب إلهي لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عن يستحقه ، في هذا الوقت كان المسلمون يمارسون الطب منذ زمن مبكر عن ذلك ، فقد توسع المسلمون فيه وترجموا موسوعات فارسية ويونانية وهندية في الطب إلى اللغة العربية ، وألفوا موسوعات لم يوضع لها نظير في الضخامة والتمحيص ، وكانت بعض أمهات هذه الكتب تدرس في جامعات أوروبا لمدى زمني طويل.

**ثانيا :** الرياضيات : أما سائر العلوم كالرياضيات والفلك وعلوم الطبيعة كالكيمياء والنبات والحيوان

والمعادن والصيدلة ، فقد تفوق فيها المسلمون قبل عصر النهضة بوقت كبير وبرزت أسماء كبيرة مثل : ابن مسكويه، والخازن ، وابن خلدون ، وابن النفيس ، وابن الهيثم ، وألبتاني ، والفرغاني،والكندي ، والخوارزمي ، والبيروني ، والغافقي ، والقزويني ، وجابر بن حيان ، وابن البيطار ، وداود الأنطاكي ...

**ثالثاً:** أهمية مؤلفات المسلمين : ظلت مؤلفات هؤلاء العلماء المراجع المعتمدة في، جامعات أوروبا حتى القرن التاسع عشر ، واعترف عدد كبير من مؤرخي العالم بفضلهم على العالم والإنسانية حتى قال قائلهم : إنه لولا أعمال العرب لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدعوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون. وحتى قال آخر: إن كثيراً من الآراء والنظريات العلمية حسبناها من صنعنا ، فإذا العرب سبقونا إليها.

**رابعاً :** الجغرافيا : كانت جهود المسلمين في الجغرافية ذات أثر واضح في النهضة الأوروبية يقول جوستاف لوبون: فالعرب هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عدت أول أساس للخرائط ، فصححوا أغاليط اليونان العظيمة في المواضع ، والعرب من ناحية الريادة هم الذين نشروا رحلات عن بقاع العالم التي يشك الأوروبيون في وجودها فضلاً عن عدم وصولهم إليها.

**خامساً :** إنشاء المدارس : من أبرز آثار الحروب الصليبية في أوروبا أن أخذت بعض مدن أوروبا تنشئ مدارس لتعليم اللغة العربية ، إذ أدركوا أن تعلم اللغة العربية أمر ضروري للوصول لأهدافهم الدينية والاقتصادية ، وكان هذا سبباً في إهمال اللغة اللاتينية والإغريقية إلى حد كبير وإحياء اللغات الشعبية وصنفت كذلك المعاجم العربية لمعاونة المترجمين والمتعلمين.

وقد تأثر الأوروبيون بالحضارة الإسلامية بسبب الاحتكاك مع العرب في المشرق خاصة مصر وبلاد الشام فنتج عن هذا التأثير :

١. الاستشراق : وهو دراسة تراث الشرق وتاريخه وعاداته وتقاليده ، وقد بدأت طلائع المستشرقين تعني بهذه الدراسات منذ القرن العاشر الميلادي إلى يومنا هذا ، وكان هدفه التمهيد لغزو أرض المسلمين. ٢. إنشاء مكتبات شرقية في أوروبا : مثل مكتبة باريس الوطنية سنة ١٦٥٤م، وفيها حوالي سبعة آلاف مخطوط عربي ، ومكتبة جامعة ستراسبج، ومكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية. ٣. إنشاء المطابع الشرقية : كمطبعة إيطاليا ، ومطبعة فرنسا. ٤. إنشاء المجلات الشرقية : كان للمستشرقين

الفرنسيين فيها جهود معروفة ، مثل صحيفة العلماء ، ومجلة الجمعية الملكية الآسيوية ،  
والمجلة الإفريقية ، والمجلة التاريخية ، ومجلة تاريخ الأديان وغيرها ، وبعض هذه  
المجلات ما زال يصدر إلى هذا اليوم. \*\*\*\*\*